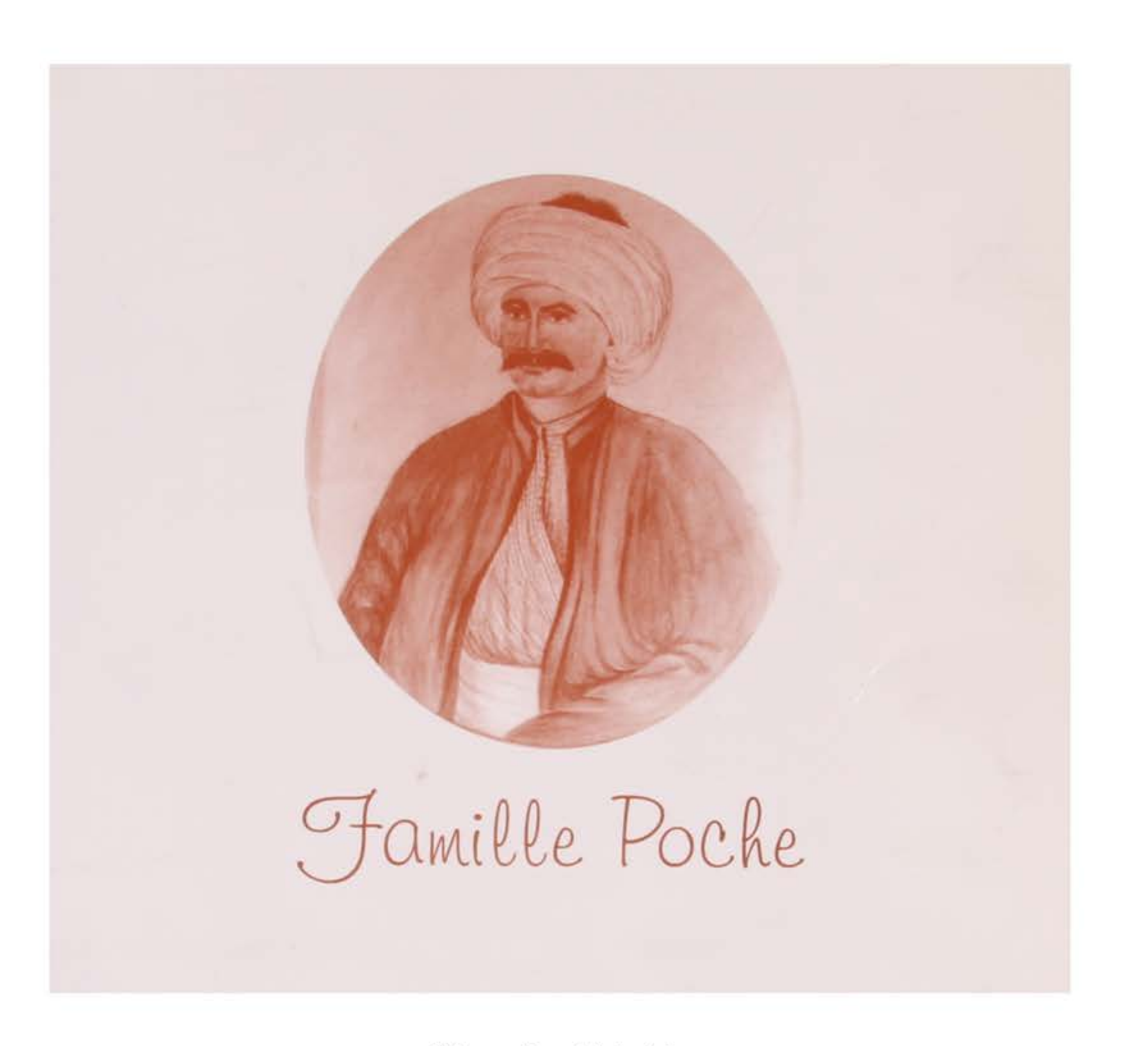
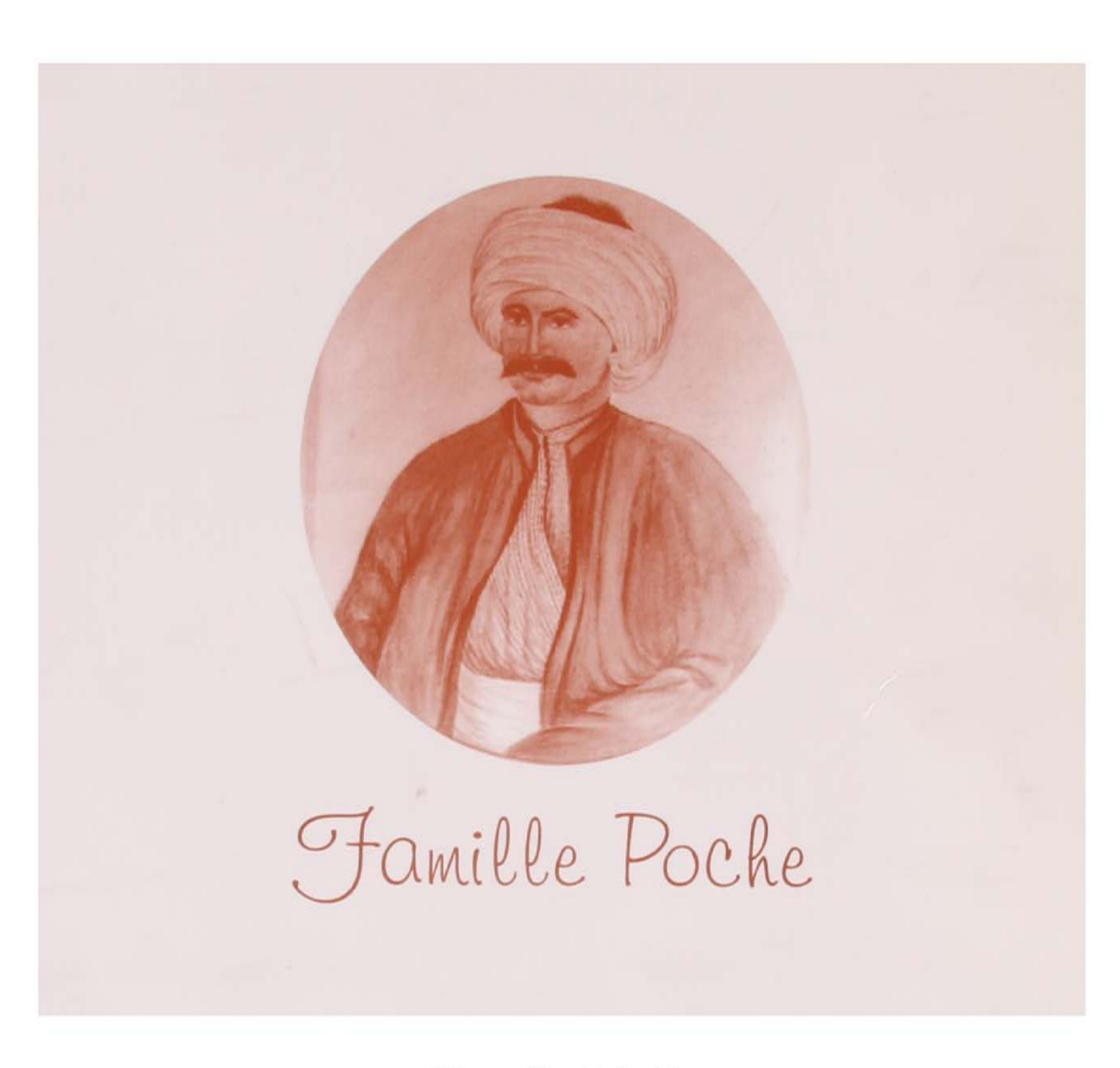
مدينة... أسرة... بيت...
ذكريات جينّي بوخه مرّاش



نقلها إلى العربيّة
مكاريوس جبّور
٢٠١٨

مدينة... أسرة... بيت...
ذكريات جينّي بوخه مرّاش



نقلها إلى العربيّة

مكاريوس جبّور

٢٠١٨

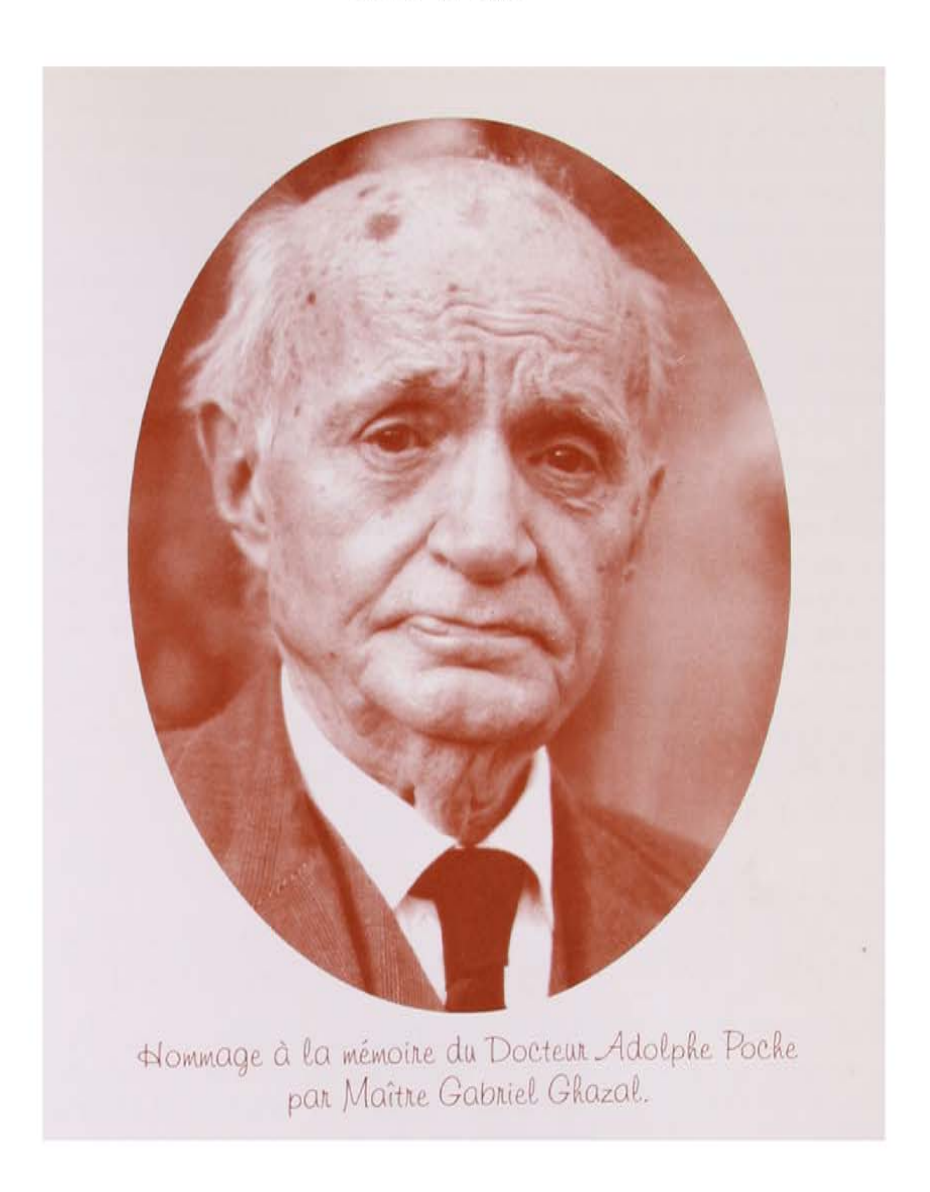
تخليدًا لذكرى

جميع أفراد هذه العائلات العريقة التي كانت

مشعلاً مضيئًا في حلب

ورفعت رأس عاصمة الشمال السوري إلى الأعالي

مكاريوس جبّور


Hommage à la mémoire du Docteur Adolphe Poche
par Maître Gabriel Ghazal.

خان النحّاسين

شهدت، سنة ١٥٢٨، حدثًا استثنائيًا في تاريخ الشرق الأوسط عمومًا وحلب بشكل خاصّ، فقد أقرّت السلطنة العثمانيّة اتفاقيّة الامتيازات التي وقّعها السلطان سليمان القانوني (١٤٩٥-١٥٦٦) مع الملك فرنسوا الأوّل (١٤٩٤-١٥٤٧). وبموجب هذه الاتفاقيّة سُمح للأوروبيّين أن يفتحوا شركات تجاريّة أجنبيّة في البلاد الخاضعة لسلطة الإمبراطوريّة العثمانيّة. ومنذئذ، توجّه كلّ من الفرنسيّين والجنوفيّين (Génois) (نسبة إلى مدينة جينوفا الإيطاليّة) والهولّنديّين والإنجليز، وبالطبع البندقيّين (vénitiens)، واستقرّوا في العديد من مدن الشرق التي كانت حلب تُعتبر ثالثتهم من حيث الأهميّة بعد استانبول (القسطنطينيّة) والقاهرة. ففُتحت أمامهم أبواب شركات تجاريّة أجنبيّة عدّة.



السلطان سليمان
القانوني



الملك فرنسوا الأوّل

وقد كان للبندقيّة (Venezia) الإيطاليّة حيّزًا مهمًّا في هذا المسرح التاريخيّ. كيف لا والبندقيّون سبق واستقرّوا رسميًّا بحلب منذ سنة ١٢٠٧. وكان لهم مركز تجاريّ فيما عُرف آنذاك "بمكان القوافل" (Caravansérail) بالقرب من الكنيسة القديمة التي كانت على اسم القدّيسة هيلانة، فيما عُرف دائمًا بمكان قوافل البندقيّة.

وفي سنة ١٥٣٩، فتح البندقيّون أوّل قنصليّة لهم بحلب، وشيّدوا لهذه الغاية بيتَين على أرض غير واضحة المعالم (ملتبسة الشكل) في ما يُسمّى بتلّ الستّ. وقد دُعي بهذا الاسم، لأنّ سيّدة أوروبيّة دُفنت في المكان، على ما يبدو، ولذلك أُطلق على المكان اسم تلّ الستّ، إذ لقب "ستّ" لم يكن يُطلق إلاّ على السيّدات الغريبات عن البلاد.

عندما تدخل إلى الخان المعروف باسم خان النحّاسين، (علمًا أنّه سُمّي بهذا الاسم، لأنّه كان سوقًا تُصنّع فيها الأواني النحاسيّة)، تجد إلى الشمال درجًا يُفضي إلى بيتَين، الأوّل على اليمين وكان مقرّ القنصل، والثاني على الشمال وكان مكتبه.

وقد شُيّد البيت على نمط أشبه بنمط الأديرة لا القصور البندقيّة.

وكان ساليريو رتسيني (Salerio Rizzini) آخر قنصل للبندقيّة في حلب يموت قبل عقد اتفاقيّة كاومبوفورميو (Campoformio)، سنة ١٧٩٧، التي ألغى بها نابوليون بونابرت جمهوريّة البندقيّة لصالح النمساويّين. وكانت زوجة هذا القنصل قد اقترنت للمرّة الثانية بتاجر فرنسيّ مقيم في حلب يُدعى بيير ماجي (Pierre Magy). وإذ لم يُنجبا، تبنّا ابنتَين من أسرة سولا (Sola) هما مارغريت وماري. وكانتا كلاهما ابنتَي ألبير سولا الجنوفيّ الأصل، وزوجته ماتيلد حوّا، من أسرة مسيحيّة عريقة في حلب.

توفّي ألبير سولا وزوجته ماتيلد في الزلزال الذي حدث سنة ١٨٢٣، وراح ضحيّته عشرون ألف نسمة من أصل مائة ألف مجموع سكّان حلب.

شجرة عائلة بوخه

أدريان بوخه (Adrien Poche) ولد في سان كونتان (Sainy Quentin) بفرنسا
وتزوّج من آنّا كلانج (Anna Klinge).
أنجبا

الياس بوخه (Elias Poche) ١٦٣١-١٦٩١
أنجب

كريستيان بوخه (Christian Poche) ١٦٨٥-١٧٢٩
وتزوّج من ماريّا إيبنر (Maria Hibner)

جورج جوزف بوخه (Georges Josef Poche)
١٧١٩-١٧٩٢
وتزوّج من آنّا لُهر (Anna Lohr)

هانس جورج بوخه (Hans George Poche)
١٧٢٣-١٧٩٢
وتزوّج من آنّا غروسّ (Anna Gross)
أنجبا

إيوهان جورج بوخه (Yohan George Poche) ١٧٤٩
وتزوّج من آنّا ماريّا نوباور (Anna Maria Neubauer)
أنجبا

الأبناء الذين لم يُنجبوا
١- ماري تريز بوخه (Marie-Thérèse Poche)
حلب ١٨٢٨. تزوّجت من فانسان ماركوبولي (Vincent Marcopoli)
٢- لورا بوخه (Laura Poche) حلب ١٨٣٠-١٩٠٥. تزوّجت من نيقولا ماركوبولي (Nicolas Marcopoli).
٣- أدولف بوخه (Adolphe Poche) حلب ١٨٣٣، توفّي في باريس ١٨٩٢.
٤- فردينان بوخه (Ferdinand Poche) حلب ١٨٣٨، تزوّج من ألبيرتا كنيبل (Alberta Knebel)، وتوفّي في مانشستر ١٩٢٢.

فريديرك بوخه
(Frederic Poche) حلب ١٨٣٦-١٩١٢، تزوّج من زويه ماركوبولي (Zoé Marcopoli) ١٨٤٣.
أنجبا

ألبير بوخه (Albert Poche) حلب ١٨٤٢-١٩٢٩، تزوّج من أوجيني جوستينياني (Eugénie Giustiniani)، خيو (Chio) ١٨٥٥، حلب ١٩٣٠.

ماري بوخه (Marie Poche)
١٨٧٠-١٨٧٣

ماري بوخه (Marie Poche)
١٨٧٠-١٩٤١. تزوّجت من جوزيف (Joseph) حلب ١٨٧٣-١٩٦٤.

ألبير بوخه (Albert Poche) حلب ١٨٤٢-١٩٢٩، تزوّج من أوجيني جوستينياني (Eugénie Giustiniani)، خيو (Chio) ١٨٥٥، حلب ١٩٣٠.

الأبناء الذين لم يُنجبوا

١- مارغريت بوخه (Marguerite Poche) حلب ١٨٧٩-١٩٦٤، تزوّجت من أدولف سولا (Adolphe Sola).

٢- إلفير بوخه (Elivre Poche) حلب ١٨٨١-١٩٢٥، تزوّجت من هنري ماركوبولي (Henri Marcopoli).

٣- أولغا بوخه (Olga Poche) ١٨٨٤-١٩٧٠، تزوّجت من هنري أسود (Henri Assouad).

٣- ماري بوخه (Marie Poche) حلب ١٨٨٧-١٩٤٣، تزوّجت من جوزيف بوخه (Joseph Poche).

٤- هيلدا بوخه (Hilda Poche) حلب ١٨٩٢، أصفهان ١٩٤٣، تزوّجت من أوجين موريي (Eugne Mouray).

رودلف بوخه (Rodolphe Poche) حلب ١٨٨٩-١٩٦٧، تزوّج من جان ريغال (Jeanne Rigal).
أنجبا

كريستيان بوخه (Christian Poche) ١٩٣٦، تزوّج من راضيا.
أنجبا

كليمان بوخه (Clement Poche) ١٩٨٩.

نيقول بوخه (Nicole Poche) ١٩٣٨.

آدولف بوخه (Adolphe Poche) حلب ١٨٩٥-١٩٨٧، تزوّج من فيوليت سكوداموريه (Violet Scudamore) ١٨٩٨-١٩٤٥.
أنجبا

أوجيني بوخه (Eugénie Poche) ١٩٤١، تزوّجت من جورج مرّاش ١٩٣٦-١٩٩٤.
أنجبا

الأبناء الذين لم يُنجبوا
١- فريد مرّاش ١٩٦٧.
٢- أدولف مرّاش ١٩٧٤.

باسيل مرّاش ١٩٦٧، تزوّج من سابين صبّاغ ١٩٦٧.
أنجبا

جينيفر مرّاش ١٩٩٨.

جورج مرّاش ١٩٩٩.

آنطوني مرّاش ٢٠٠٣.

ميشيل مرّاش حلب ١٩٦٦، تزوّجت
من إدوار مكربنه حلب ١٩٥٧.
أنجبا

جان مكربنه ١٩٨٩.



Famille Poche

جوزيف إينياس بوخه

ابن إيفان بوخه (١٧٨٨-١٨٥٨ كرايبتس) وآنّا ماريّا نوباور

Joseph Ignace Poche fils de Yohan Poche (١٧٨٨-١٨٥٨ Kreibitz) et de Maria Neubaur



ولد في كرايبتس (Kreibitz) القريبة من وارنشدورف (Warnsdorf) في مملكة بوهامية (Royaume de Bohême). ترك بلاده سنة ١٨١٤ وتوجّه إلى استانبول (القسطنطينيّة) لكي يُدخل، في سلسلة تجاريّة كبرى، المنتجات البوهاميّة التي كان الكريستال، المُعتبر كثيرًا في الشرق، جزءًا كبيرًا منها. وكان احتكاكه الأوّل في تركيّا مع استانبول (القسطنطينيّة)، مدينة الباديخاس (Padichas) وهناك استلهم من ذوق البلد واستهلاكها.

ومن هناك غادر إلى تسالونيكي. ومن تسالونيكي اتّجه نحو لارنكا (قبرص). أمضى القارب الشراعيّ الذي كان يقلّه إلى لارنكا ثلاثة أشهر للوصول. وكان تلك الرحلة الأخطر بسبب القراصنة الذين كانوا يتهدّدون منطقة أرخبيل لارنكا.

ومن لارنكا أتى إلى دمشق التي ما أن وصل أبوابها حتّى أجبره سكّانها على خلع ملابسه الأوروبيّة وارتداء الزيّ الوطنيّ الذي كان عبارة عن عباءة مخطّطة تُسمّى القمباز، وفوقها معطف يُسمّى الجبّة وعمامة تُسمّى الطربوش الملفوف بالقماش. وأجبروه على النـزول من دابّته والسير على الأقدام، لأنّ دمشق كانت تُعتبر مدينة مقدّسة للمسلمين، وكان محظورًا على غير المؤمنين دخولها كأسياد أو معلّمين.

فور وصوله إلى دمشق أسّس شركة تجاريّة أجنبيّة كانت تتاجر بالكريستال البوهمايّ (Cristal de Bohême) بنوع خاص، وهي مواد ثمينة تناسب ذوق البلد. وفي ما كانت الشركة الدمشقيّة لا تزال في حالة تطوّر، أتى إلى حلب المدينة ذات الأهميّة الكبرى لكونها واقعة على طريق الهند.



في سنة ١٨٢٧، تزوّج جوزيف إينياس بوخه (Joseph Ignace Poche) من مارغريت سولا دو ماجي (Marguerite Sola de Magy) وسكن البيت الذي حصل عليه من بيير دو ماجي (Pierre de Magy).

وسرعان ما أصبح مقرّ إقامة جوزيف بوخه مفتوحًا لجميع الأوروبيّين القاطنين في المدينة، وخاصّة لكبار موظّفي هنغاريا، ومن بينهم الجنرال بيم (Bem) الذي أصبح لاحقًا مراد باشا (١٧٩٥-١٨٥٠)، والكولونيل أوروسدي (Orosdi) الذي أسّس، فيما بعد، مع باك (Back) مجموعة أوروسدي-باك، والجنرال خمتّي (Khmetty). وبما أنّ هؤلاء الأربعة كانوا من خيرة عازفي الكمان، فقد شكّلوا رباعيًّا يعزف (لا يزال كمان جوزيف بوخه من ماركة آماتي Amati محفوظًا).

أنجب جوزيف ومارغريت سبعة أولاد: فتاتَين وخمسة فتيان: ماريّا التي تزوّجت من فينتشينسو ماركوبولي (Vincenzo Marcopoli) قنصل صقليّة، ولوريّتا التي تزوّجت من نيقولا ماركوبولي (Nicolas Marcopoli) قنصل إسبانيا. وآدولف وفريديريك وفريدينان وألبير وغيّوم (Adolphe, Frédéric, Ferdinand, Albert et Guillaume).


Adolphe, Frédéric, Ferdinand, Albert et Guillaume

والجدير ذكره أنّ مارغريت كانت قد تيتّمت من الوالدَين بسبب الزلزال الذي أصاب حلب سنة ١٨٢٣، وتبنّاها القنصل العام لجمهوريّة البندقيّة.

بنهاية حياته، صنّع جوزيف بوخه عربة بهدف التجوال في المناطق سوريّة، وكانت مليئة بالسلع والجواهر. وفي إحدى الأمسيات تعرّض له قطّاع الطرق وسرقوا منه جميع محتويات عربته. وهكذا أضاع جنى عمره. شكّل ذلك كارثة ماليّة، فانهار الرجل. كما تسبّب الحادث بتعرّضه لصدمات، فلم يعشْ إلاّ لفترة قصيرة توفّي بعدها متأثّرًا بما حصل معه.

كان ابنه الأصغر لا يزال طفلاً عندما توفّي والده. ووُجدتْ الأسرة في حالة ضيق شديد، فقد خسرت الكثير من بعد السطو على العربة. ولم ترجع الأعمال لتنطلق إلاّ بفضل الابن البكر فريديرك الذي كان لا يزال في أوّل عهد الشباب.



Joseph Ignas Poche
Kreibitz 1788 - Alep 1858

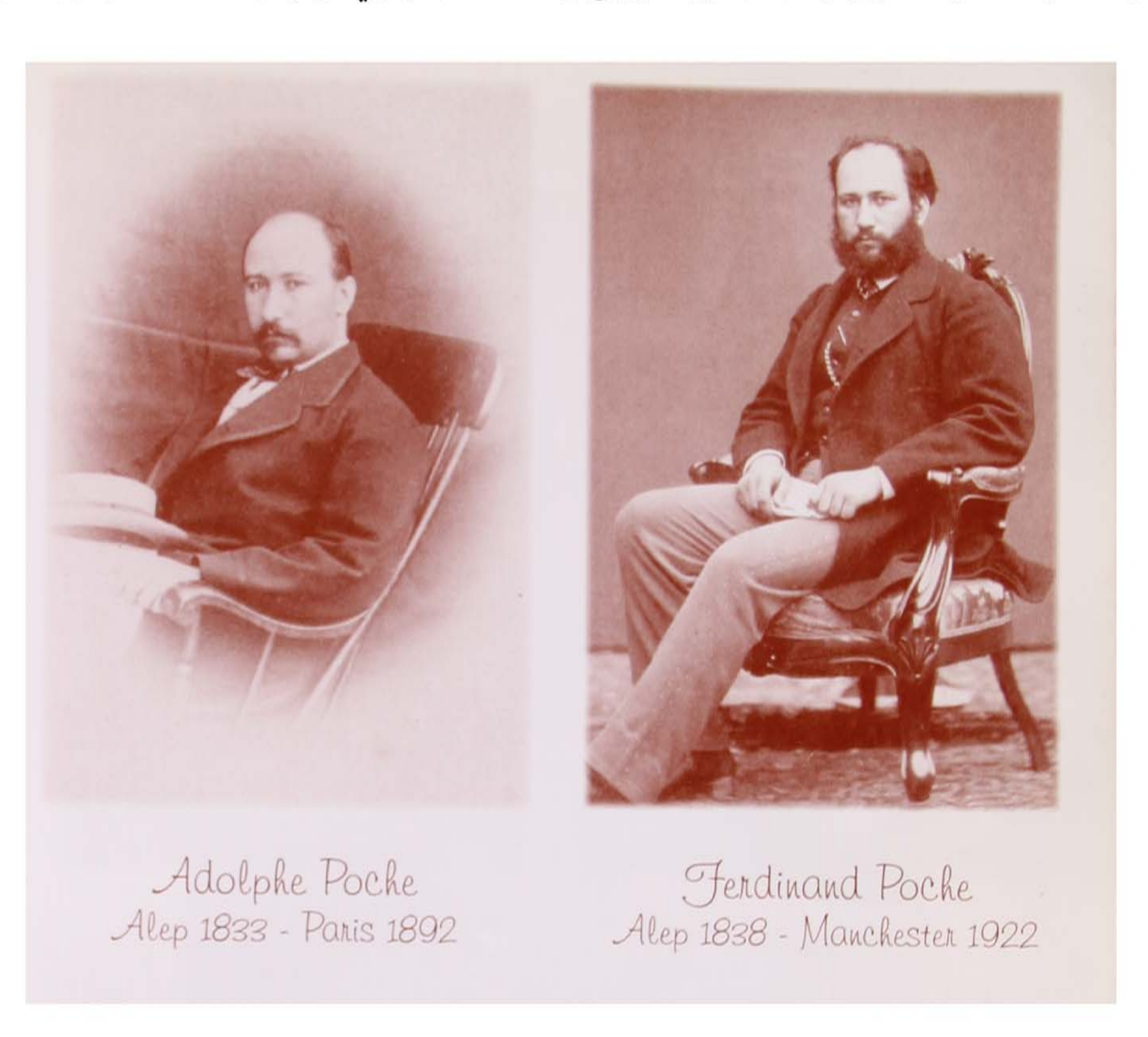


Marguerite Sola de Magy
Alep (1803 - 1892)

أسّس آدولف وفريديرك بموافقة ألبير وغيّوم شركة تجاريّة سنة ١٨٥٢، اهتمّت باستيراد المنتوجات الأوروبيّة وبتصدير المنتوجات السوريّة. ولأسباب اجتماعيّة حملت شركتهم اسم "شركة الإخوة بوخه وشركاؤهم" (Maison fratelli Poche te Compagnie). وأصبحوا من مالكي الأراضي.

بقي آدولف عازبًا، وتوفّي في باريس سنة ١٨٩٢ بدون نسل. ودُفن عند الأب لاشيز (Lachaise).

أمّا فردينان فقد ترك حلب وتوجّه إلى مانسشتر (Manchester)، وأنشأ شركة تجاريّة سنة ١٨٩٦، وتزوّج، سنة ١٨٩٢، بإحدى البارونات، وتُدعى ألبيرتا كنيبيل (Alberta Knebel) التي كان والدها يشغل منصب رئيس للحكومة العليا الآسبورغيّة (نسبة إلى آسبورغ Hasbourg). وتوفّي فردينان سنة ١٩٢٢ بدون نسل.


Adolphe Poche
Alep 1833 - Paris 1892

Ferdinand Poche
Alep 1838 - Manchester 1922

شغل فريديرك المناصب التالية: قنصل ملكيّ لبلجيكا وقائم بأعمال الولايات المتحدة الأمريكيّة. وكان أيضًا قنصلاً ملكيًّا لروسيا وقنصلاً إمبراطوريًّا للمملكة النسماويّة-الهنغاريّة. وعُرف كسيّد كبير ورجل بهيّ الطلعة. وأحبّ السفر وكثرة الانفاق. تزوّج، سنة ١٨٦٨، بموجب تفسيح بابويّ من ابنة أخيه زويه ماركوبولي (Zoé Marcopoli). وأنجبا ثلاثة أبناء، اثنين منهم توفّيا: طفلة في أشهرها الأولى، وطفل أعطوه اسم رودلف-دولور (Rodolphe-Dolor). وبقي الثالث على قيد الحياة، فسمّوه جوزيف فانسان (Joseph Vencent). وقد عمّر هذا الأخير حتّى بلغ الحادية والتسعين من العمر، وتوفّي سنة ١٩٦٤.



جوزيف فريدريك جوزيف إينياس بوخه (Joseph Frédéric Joseph Ignace Poche)

تزوّج جوزيف بماري ابنة عمّه ألبير. وعاش في بيت الخان. وشغل منصب قنصل لبلجيكا في حلب، واهتمّ بالأملاك (الأراضي الزراعيّة) التي كانت تملكها الأسرة. وتجدر الإشارة إلى أنّ استثمارات كانت لديه في كلّ من قرية برج كرسانتا (Berge Kersanta)، وحزان (Hazan) وبويطا (Boueta) وعين البيضا (Aïn Al-Baïda) وكوارسّ (Kwaresse)، وجميعها بلدات تعود أصولها إلى أوّل عهد الكنيسة.

اهتمّت الأسرة بزراعة القمح والقطن والشعير.

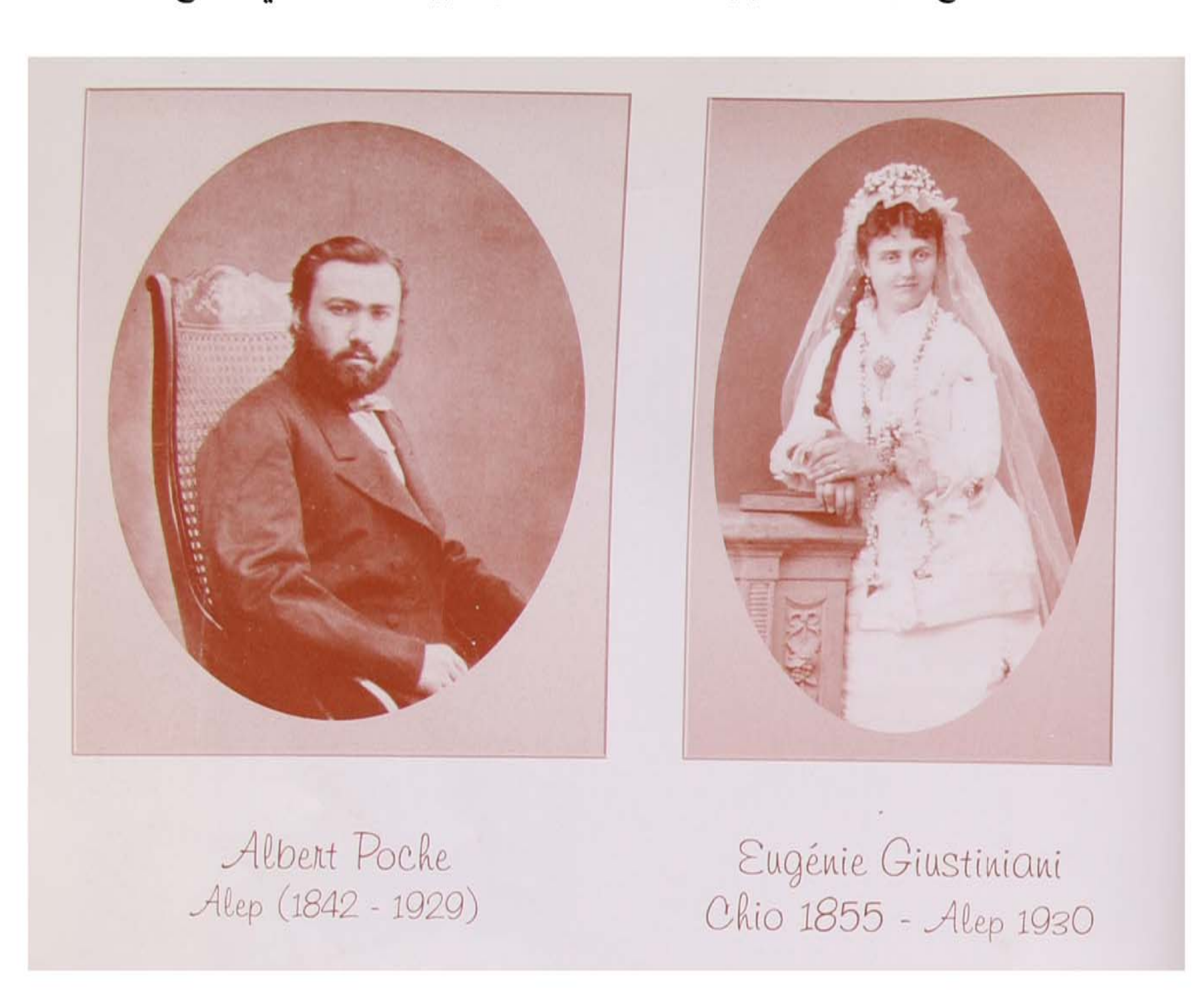
Marie Poche
Alep (1887 - 1943)

Joseph Poche
Alep (1873 - 1964)

ألبير جوزيف إينياس بوخه (Albert Joseph Ignace Poche)

شغل ألبير مناصب: قنصل للبلاد المنخفضة (Pays-Bas)، وراعٍ لمصالح ألمانيا وصربيا وكرواتيا وسلوفانيا وسويسرا. وأدار قنصليّات كلّ من ملوك إيطاليا وبلجيكا، وقام بأعمال الولايات المتحدة الأمريكيّة، ثمّ أصبح قنصلاً لإسبانيا.

تزوّج سنة ١٨٧٨ من أوجيني جوستينياني (Eugénie Giustiniani) التي كانت قاطنة في خيو (Chio) إحدى جزر اليونان. وتعود أصولها إلى فروع أسرة جوستينياني التي تركت البندقيّة في القرن الثالث عشر لتقيم في خيو. وحمل رجالها لقب أمراء خيو. واشتهر أحد أجدادها يوانّيس جوستينياني (Yoannis Giustiniani) وقد دافع عن القسطنطينيّة خلال فترة سقوطها بيد محمّد الثاني الفاتح.



Albert Poche
Alep (1842 - 1929)

Eugénie Giustiniani
Chio 1855 - Alep 1930

وتكمن أهميّة ألبير في أنّه أدخل أوّل آلة تصوير إلى سوريّة سنة ١٨٦٣. وترك حوالي ألف وخمسمائة صورة على صفيحات زجاجيّة. من بين هذه الصور وجوه لكثيرين من أهالي حلب ومشاهد للمدينة.

وعندما أتى الماركيز ميلخيور فوغه (Melchior Voguë) إلى سوريّة مرسلاً من المركز الفرنسيّ لإجراء أبحاث عن آثار القدّيس سمعان العامودي، رافقه ألبير بوخه والتقط أوائل الصور لتلك المواقع (ولا تزال هذه الصور في أرشيف الأسرة).

أنجب ألبير وأوجيني سبعة أبناء، خمس بنات هنّ: مارغريت وإلفير وأولغا وماري تريز وهيلدا (Marguerite, Elvire, Olga, Marie-Thérèse, Hilda)، وصبيّين هما: رودلف وآدولف (Rodolphe et Adolphe).



Albert et Eugénie eurent sept enfants
Marguerite, Elvire, Olga, Rodolphe, Hilda et Adolphe

كان ألبير عندما تزوّج من أوجيني في الثلاثينيّات من عمره. أمّا هي فكانت، عندما تزوّجا، لا تزال تقطن في جزيرة خيو، غير أنّ أباها لوران جوستينياني (Laurent Giustiniani) كان مقيمًا في حلب حيث أسّس شركة تجاريّة مع أولاد أخته آل ماركوبولي (Marcopoli).

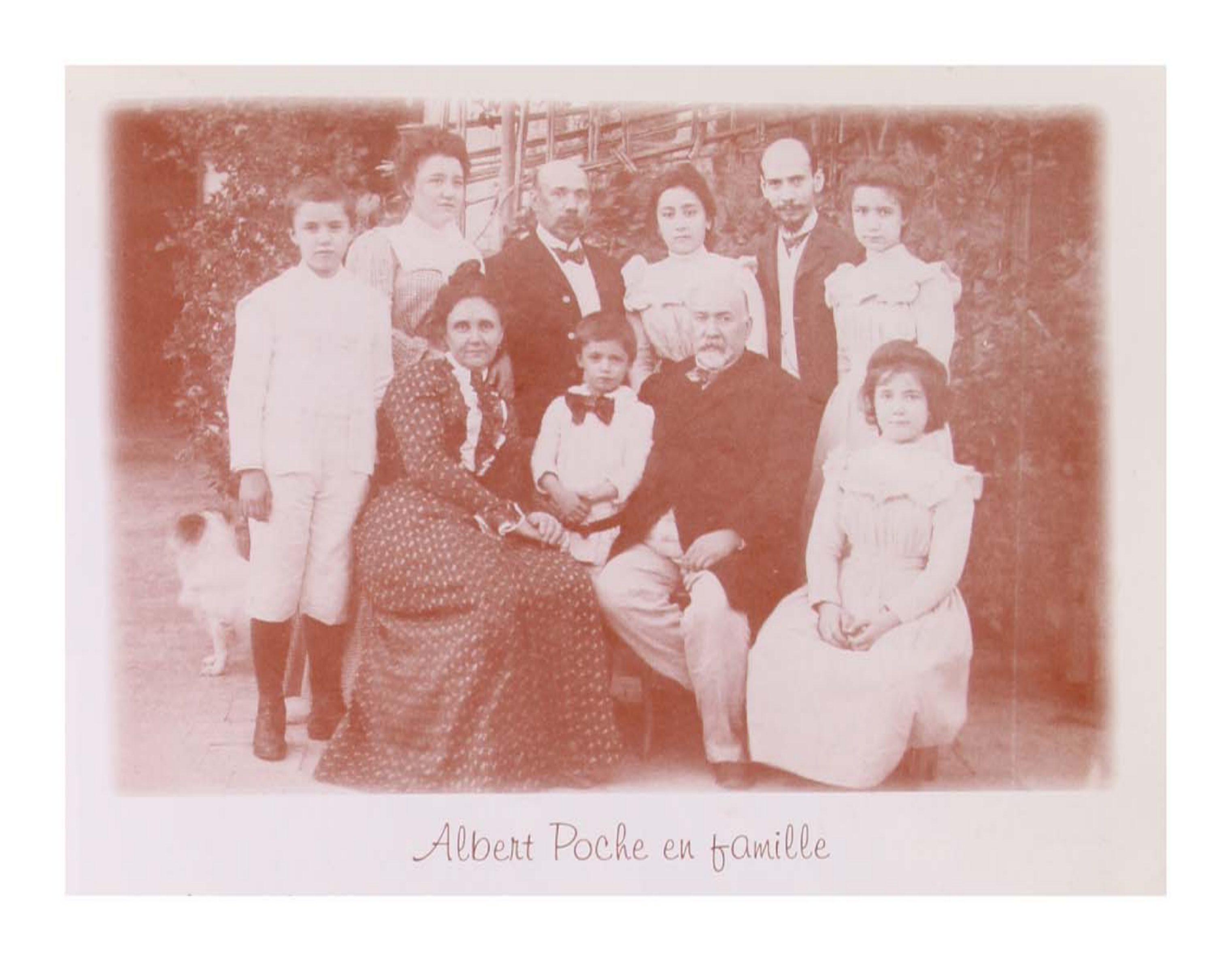
سافر ألبير من حلب إلى خيو عن طريق اسكندرونة بقارب شراعيّ. كانت الرحلة طويلة ومحفوفة بالمخاطر لأنّ البحر كان وكرًا للقراصنة. واصطحب معه خطيبته الرائعة الجمال، فتزوّجا وسكنا معًا في بيت الخان.

أنجبا طفلهما الأوّل: فتاة منحاها اسم جدّتها مارغريت، ثمّ اكتفيا لها بلقب الدلع غيتا (Ghita). بعد ذلك، أنجبا إلفيرا وأولغا وماري (Elvira, Olga et Marie)، وأخيرًا، أنجبا طفلاً في الشهر السابع للحبل به. مولود كهذا، بالنسبة إلى تلك الحقبة، كان لا بدّ من يفتقر إلى الحظّ في البقاء على قيد الحياة. غير أنّ الحظّ وقف إلى طرفهما، فقد عاش الصبيّ، وأطلقا عليه اسم رودلف (Rodolphe) إحياء لذكر أوّل دوق لهبسبورغ (Habsbourg) الذي انتحر مع معلّمته ماري فيتسيرا (Marie Vetsera). تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الدوق رودلف قد عاش بين السنوات ١٨٥٨-١٨٨٩، وكان الدوق الأوّل للنمسا.

من بعد رودلف ابن ألبير وأوجيني بوخه ولدت هيلدا، وأخيرًا أنجبا صبيًّا منحاه اسم آدولف تخليدًا لذكر الأخ البكر لألبير الذي سبق وتوفّي في باريس.

سبعة أبناء! أسرة كبيرة. اهتمّ البكور بإخوتهم كما كانت العادة في تلك الحقبة.




Albert Poche en famille



Marguerite (Ghita)

Elvira, Marie et Hilda

Olga

Rodolphe

Adolphe


L'enfance


Plus tard
Rodolphe
Adolphe

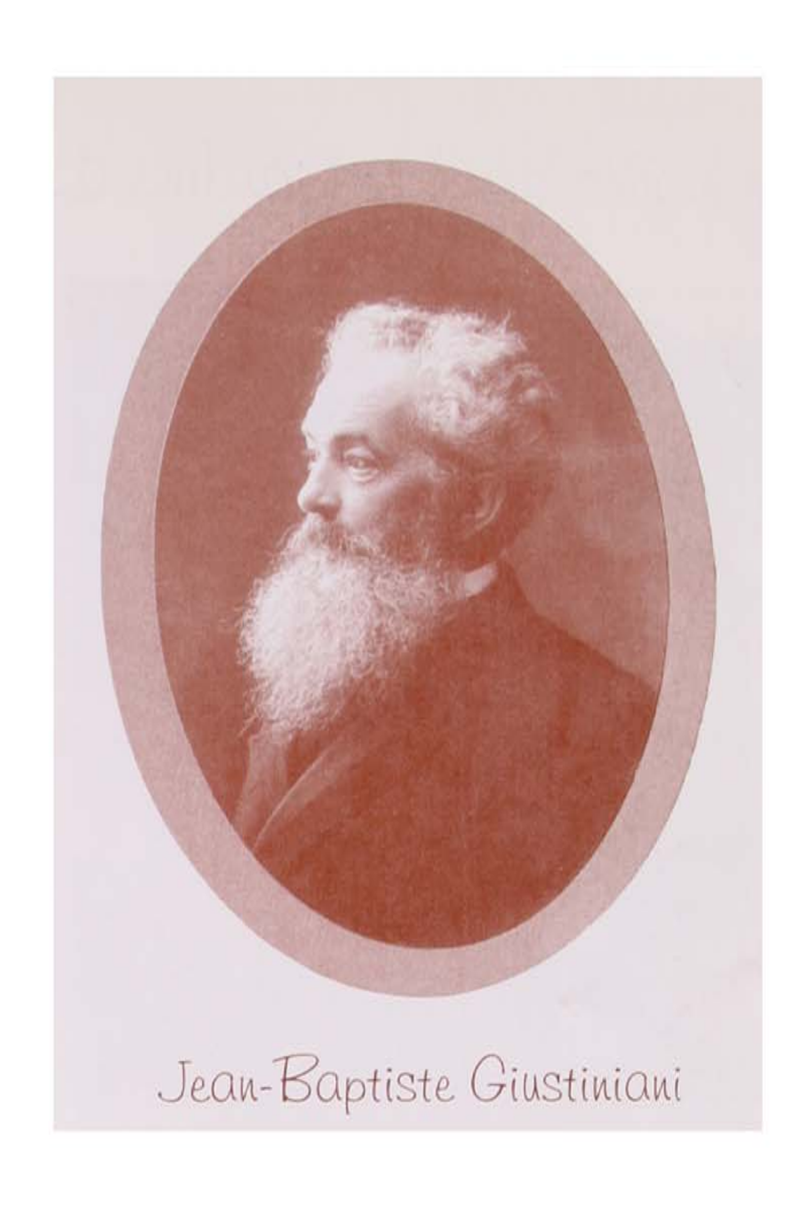

Plus tard
Ghita
Elvira
Maria
Olga
Hilda
Elvira, Olga, Ghita


La famille

جان-باتيست جوستينياني (Jean-Baptiste Giustiniani)

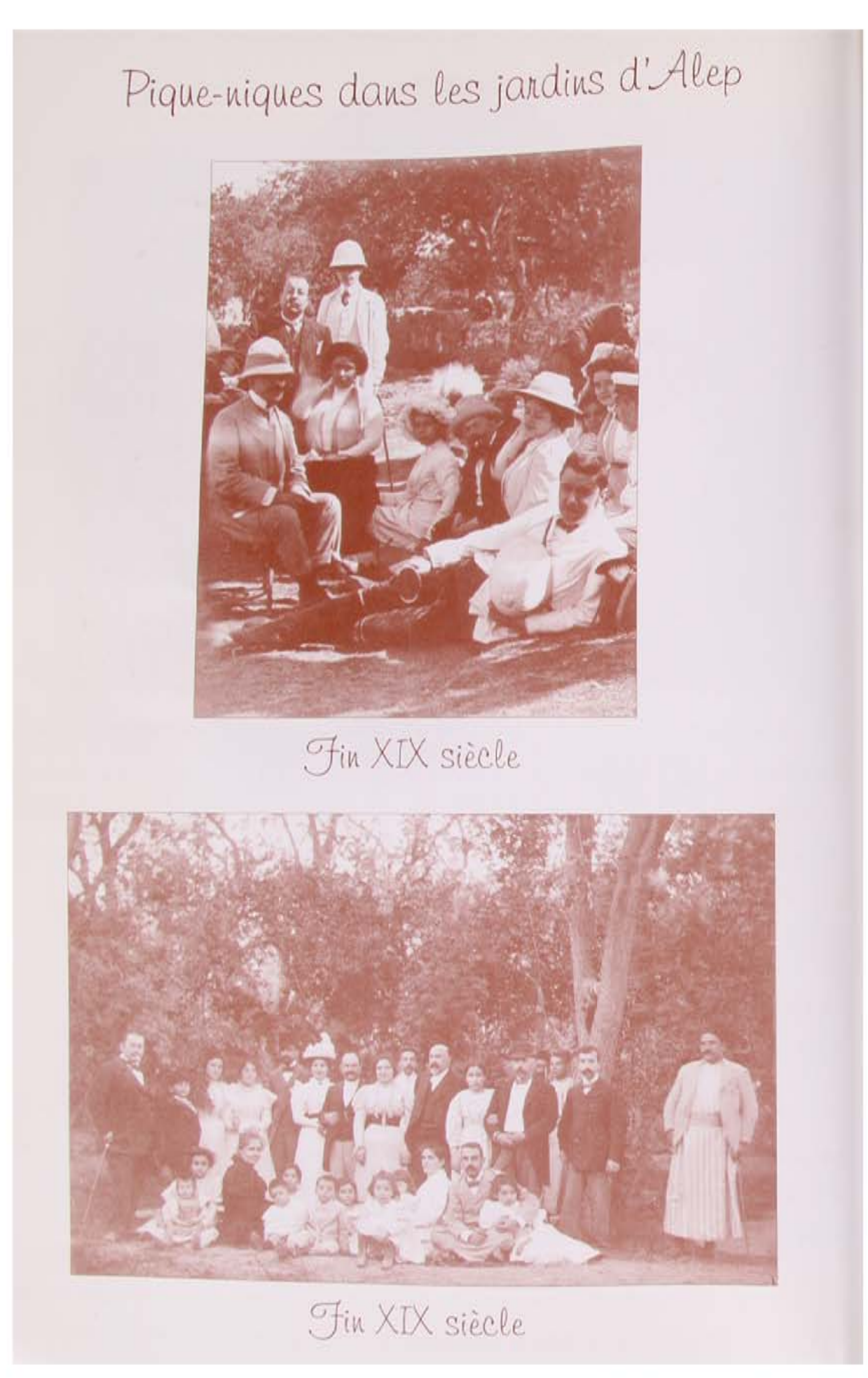
كان لأوجيني زوجة ألبير بوخه أخ هو جان-باتيست جوستينياني. هذا ولد في خيو وتوفّي في هاي (Haye) بهولندا. وكان رجلاً بهيّ الطلعة وعُرف بعشقه للنساء. فترك جزيرة خيو، شابًّا، ليجول العالم مبدّدًا أرزاق الأسرة. وفي إحدى محطّاته بلندن التقى بإحدى آنسة الشرف وهي الأميرة فيكتوريا الإنجليزيّة (Victoria d'Angleterre) فتزوّج بها وحصل (كهدية من أهل العروس لابنتهم) على مُلك في ليشبونا (Lisbonne).

كان أجداد جان-باتيست أمراء جزيرة خيو، وهو منصب شغلوه لأجيال، الأمر الذي ألزمهم بدفع جزية للباب العالي.



وبعد المجازر التي ارتكبها الأتراك في خيو، قُضي على جميع ذكور أسرة جوستينياني، ولم يبقَ منهم إلاّ واحد لسبب أنّه كان قد دخل أحد الأديرة طلبًا للحياة الرهبانيّة. ولكنّه، بعد موت جميع إخوته، حصل على تفسيح بابويّ وترك الدير وتزوّج وأنجب الكثير من الأبناء. ثمّ زهد الحياة وعاد إلى الدير وعاش فيه حياة قداسة وتقشّف، ورفعته الكنيسة، بعد موته، إلى مصفّ القدّيسين. هو القدّيس لورنتسو جوستينياني (Lorenzo Giustiniani).

لا تزال جزيرة خيو، بحجارتها وبرونـزيّاتها، تتكلّم عن أمجاد أمراء جوستينياني. وفي قصر خيو لا نزال نرى خزائنهم.



Pique-niques dans les jardins d'Alep






Promenades


Les joies de la vie

غيّوم جوزيف إينياس بوخه بوخه (Guillaume Joseph Ignace Poche)

كان هذا آخر أخ من السلالة الحلبيّة. وشغل منصب قنصل لتشيسكوسلوفاكيا، وحمل لقب بارون وهو لقب بابويّ. وإذ أحبّ علم الآثار، قام بأبحاث واسعة عن طريق المراسلة. لم تكن حلب، في تلك الحقبة، مخدَّمة في هذا المضمار. وعندما كان القرويّون يجدون قطعًا أثريّة، كانوا يبيعونها للأوروبيّين القاطنين في المدينة (حلب).

بدا غيّوم هذا رجلاً خاصّ المزايا. فوضع كتابًا حمل عنوان "قوى الطبيعة" (Les Forces de la nature). ولا يبدو أنّه استطاع بيع نسخة واحدة منه. وأحبّ، كذلك، الاختبارات الكيميائيّة، فامتلك مختبرًا، وكانت أصوات انفجارات تصدر منه بين الحين والآخر، حتّى خشي الناس أن ينفجر البيت دفعة واحدة. لم يكن غيّوم جميل الطلعة، بل كان شاحبًا وذا طباع خاصّة.

بفضله لا تزال توجد في دار الخان مجموعة من القطع الأثريّة المهمّة.


Guillaume Poche
Alep (1845 - 1929)

مارغريت (غيتا) ألبير جوزيف إينياس بوخه (Marguerite (Ghita) Albert Joseph Ignace Poche)

تزوّجت مارغريت (غيتا) باكرًا من الشاب آدولف سولا (Adolphe Sola) الذي كان سليل أسرة جنوفيّة استوطنت حلب منذ جيلَين. ويبدو أنّ هناك نسب قُربة مع مارغريت سولا الأخرى زوجة جوزيف بوخه لأنّ والدة مارغريت كانت من آل حوّا، وجدّة آدولف سولا كذلك من آل حوّا (ربّما تكونان الشخص عينه).

تزوّجت غيتا، إذًا، من آدولف الذي كان بسنّ والدها تقريبًا. فتركت الخان لتذهب إلى مقرّ سكنها الجديد وهو قصر حلبيّ في محلّة الجلّوم، كان جدّ آدولف قد اشتراه من أسرة نبيلة هي آل شلبي التي تنحدر أصولها من جلال الدين الرومي مؤسّس قونية (Konia) المدينة الواقعة في أناطوليا (تركيا)، من جماعة الدراويش المعتزلة. ولطالما امتلك آل شلبي شارعًا في الجلّوم وقصرًا ومسجدًا وتقيّة (مقبرة صغيرة لدفن الأئمّة).

تميّزت غيتا بالحيويّة (والشيطنة أو الملعنة كما يُقال في حلب) وكانت ذات جمال حاد (كما كان يُقال في تلك الحقبة)، وقد أحاطها آدولف بكلّ عنايته وأطلعها على جميع نـزواته.

عاشت طويلاً وسافرت مرارًا، إلى إيطاليا خاصّة، لأنّ زوجها كان قنصلاً لهذه الدولة وحاملاً لجنسيّتها. وأحبّت الحمّامات الجميلة، وضاهت بأناقتها أرفع سيّدات المجتمع الحلبي.

لم ينجب الزوجان أبناءً، وتوفّي آدولف في حلب تاركًا غيتا في ريعان الشباب لم تناهز الأربعين من عمرها بعد. وترك لها ثروة هائلة.

أمضت، من بعد وفاته، بين ستّة وتسعة أشهر في أوروبّا ولم تكن تعود إلاّ لوقت قصير، الأمر الذي كان بمثابة مصيبة لوالدها الذي اعتبر أنّ سيرتها لا تليق بها كمسيحيّة صالحة.

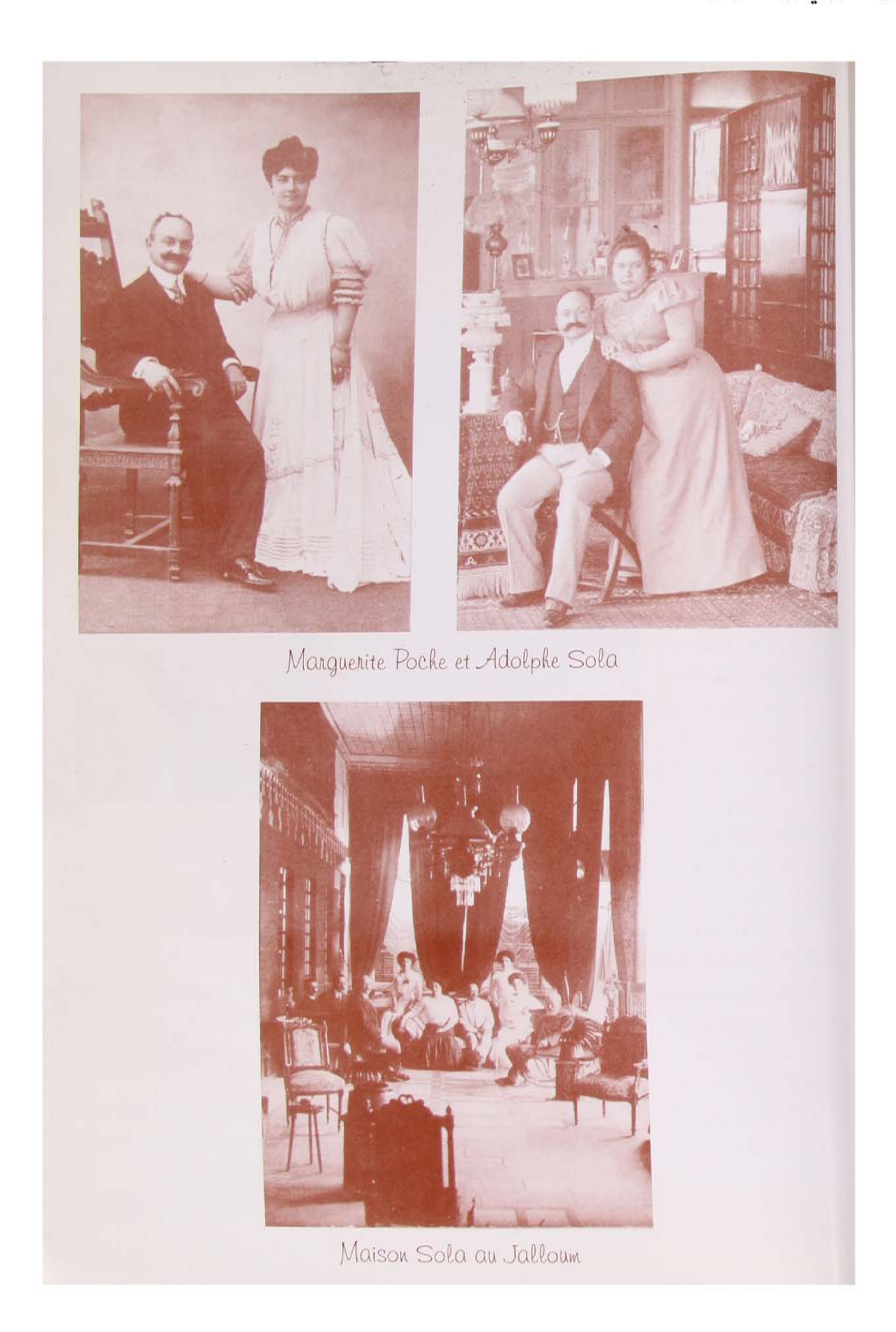
تقول جينّي مؤلّفة الكتاب: في طفولتي، كانت غيتا محطّ وشوشة، فقد هُمس أنّ لها عشّاقًا كثيرين، ولكنّها لم ترغب يومًا بمحادثتي في الأمر.

بكلّ أسف، لم تكن قد تجاوزت الستّين من العمر عندما فقدتْ بصرها بسبب داء السكّري. وذهبت إلى القدس (أورشليم) محاولة إنقاذ بصرها، غير أنّ القطار قد فات مثل هذا الإنقاذ.

بعد ذلك، اعكتفت وعاشت حياة هادئة محاطة بأخويها وأختها أولغا، وقد سبق وتوفّي إخوتها الآخرون.

تُردف جينّي مؤلّفة الكتاب: طوال طفولتي كنت أمرّ إلى بيتها في الجلّوم، وكنّا نلتقي مع أولاد أعمامي لنلعب في الباحة. بفضلها تعلّمت أن أحبّ الموسيقى. وكلّ مساء، كان الخادم يصحبني وأنا عائدة من المدرسة إلى بيت خالتي. كنت أقرأ لها، القصائد بنوع خاص، لأنّها طالما أحبّت قراءتها. وكنّا نستمع معًا إلى ترنيم جميل. وأخمدت أنفاسها في بيتها، وهي في الخامسة والثمانين من عمرها سنة ١٩٦٤.


Ghita



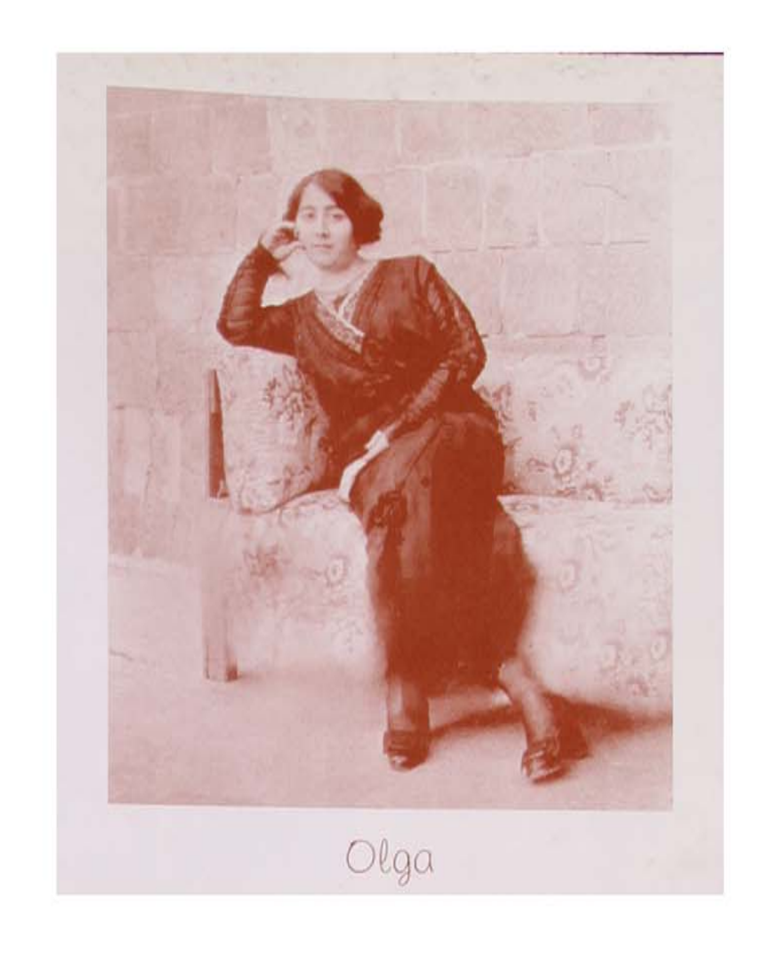
Marguerite Poche et Adolphe Sola

Maison Sola au Jalloum

إلفيرا ألبير جوزيف إينياس بوخه (Elvira Albert Joseph Ignace Poche)

كانت إلفيرا الأجمل والأنعم بين جميع الفتيات. درست كأخواتها بمعهد راهبات القدّيس يوسف الظهور اللواتي كان لهنّ دير في خان العلبيّة وبقربه مدرسة تقع قُبالة بيتها.

وقعت، في مطلع شبابها، بحبّ قريبها الشاب الجميل هنري ماركوبولي (Henri Marcopoli). وجعلها تنتظره طويلاً قبل أن يتزوّج بها. لم تمضِ بعض سنوات على زواجهما عندما أُصيب بالفالج ومكث مشلولاً. فكرّست نفسها لخدمته رغم صعوبة طباعه. وإذ كانت ذات صحّة سريعة العطب، لم تعش طويلاً وتوفّيت في الرابعة والأربعين من عمرها، الأمر الذي سبّبًا ألمًا لا يُحتمل لأسرتها. أمّا هنري فقد عاش طويلاً.



Olga



Elvira

ماري ألبير جوزيف إينياس بوخه (Marie Albert Joseph Ignace Poche)

ماري هي الابنة الرابعة لألبير. درست بالمعهد عينها الذي واظبت عليه إلفيرا، ويُقال إنّها كانت ناعمة. تزوّجت من ابن عمّها جوزيف بوخه وأمضت حياتها في البيت عينه. شكّل زواجهما حدثًا استثنائيًّا، فقد امتدّ الاحتفال حتّى الخامسة صباحًا، أي ساعة قبل موعد انطلاق قطار الشرق السريع الذي كانا قد حجزا للسفر على متنه.

لم تستطع ماري العيش مع والدتها فيوليت (Violet)، فحوّلت حياة الوالدة إلى مستحيلة. قيل إنّها كانت تغار منها، الأمر الذي سبّب ألمًا لوالدها.

توفّيت ماري في السابعة والخمسين من العمر، ولم تترك نسلاً.



أولغا ألبير جوزيف إينياس بوخه (Olga Albert Joseph Ignace Poche)

هي الابنة الثالثة لألبير وأوجيني، درست بدورها بمعهد راهبات القدّيس يوسف الظهور. ربّما كانت الأقلّ جمالاً، غير أنّها الأكثر فعاليّة بين جميع أخواتها. بعد أن تخطّت الثلاثين من العمر، تزوّجت من هنري أسود ابن المصرفيّ أسود، ومدير "مصرف أسود وإخوته".

كانت أولغا ابنة ألبير الوحيدة التي أنجبت أبناءً. فقد ولدت ثلاثة: فتاتَين وفتًى. ألبير ومادلين وإيلين (Albert, Madeleine et Hélène). عاشت بحلب، وغيّرت بيتها أربع مرّات. بداية، كانت تسكن في خان البرغل الذي كان ملكًا لآل بوخه. لكنّها، عندما نقل عسكر الانتداب الفرنسيّ السلطة إلى العسكر السوريّ، سنة ١٩٤١، وحصلت فتنة شعبيّة عفويّة في حلب، فهرعت مجموعات هائجة وصعدت أسطحة السوق صارخة: نريد خبزًا، نحن جياع. ثمّ انتقلت المجموعات من سطح لآخر، إلى أن وصلت إلى سطح بيت آل بوخه. وكسرت باب الباحة ونهبت جميع محتويات غرفة الطعام بدون أن تترك منها شيئًا.

تقول مؤلّفة الكتاب: اتّصل والدي بأعلى ضابط (فرنسي) ولكن بدون جدوى، إذ أتى جواب الضابط: لا نستطيع أن نفعل شيئًا، فالسلطة أصبحت بيد العسكر السوري. وهبّ حمّالو السوق لنجدة الأسرة واستطاعوا دفع اللصوص، غير أنّهم هؤلاء وهم خارجون من البيت-الخان (خان البرغل) نهبوا جميع ما وجدوا أمامهم من سجّاد وبورسلين صيني ثمين، وانتزعوا عنوة مجوهرات كلّ من غيتا وأولغا وهنري.

تحت تأثير الصدمة، استدعتْ ابنة خالي مادلين (الملقّبة بزوزو) الجنود الفرنسيّين الذين كانوا حرّاس خان مجاور، فلبّوا. كانت طلقت نار واحدة من أحد الجند كافية لكي يتفرّق اللصوص بأقصى سرعة.

بعد هذه الحادثة المأساويّة، لم تتبقَّ لدى كلّ من أولغا وهنري أيّ رغبة بالسكن في البيت، فذهبا عند غيتا. غير أنّ السُكنى معًا لم تمرّ بدون خلافات مع غيتا لكونها صارت تستميل هنري إليها، وانفجرت المأساة. نشب شجار قويّ بين الأختَين، وترك آل أسود البيت وذهبوا للسكن بفيلاً جميلة في محلّة السبيل.

وعندما توفّي هنري، فضّلت أولغا الاقتراب من مكان سكن ابنها الذي كان يسكن مع أسرته بيتًا في حي العزيزيّة. ثمّ غادرت إلى لبنان، وهناك توفّيت في السادسة والثمانين من عمرها.

Olga Poche épousa Henri Assouad (banquier),
ils eurent trois enfants: Albert, Madeleine et Hélène.









هيلدا ألبير جوزيف إينياس بوخه (Hilda Albert Joseph Ignace Poche)

هي الابنة الخامسة لألبير وأوجيني. عاشت، كأخواتها، في حلب، ودرست في المعاهد عينها. تزوّجت متأخّرة من القنصل العام الفرنسيّ بحلب. ثمّ تركت حلب وذهبت مع زوجها إلى مركز عمله الجديد في أصفهان بإيران. وتوفّيت هناك إثر إصابتها بفيروس قاتل انتقل إليها عبر أدوات طبيب الأسنان. تجدر الإشارة إلى أنّ البنسيلين لم يكن قد عُرف بعد في تلك البلاد البعيدة.



Hilda
Alep 1892 - Isphahan 1943

رودلف ألبير جوزيف إينياس بوخه (Rodolphe Albert Joseph Ignace Poche)

رودلف هو الصبيّ الأوّل بعد أربع بنات، وكان مدلّل أمّه. وبما أنّه ولد في الشهر السابع، لم يخطر ببال أحد أن يحظى بالحياة. درس عند الآباء الفرنسيسكانيّين بمدرسة الشيباني.

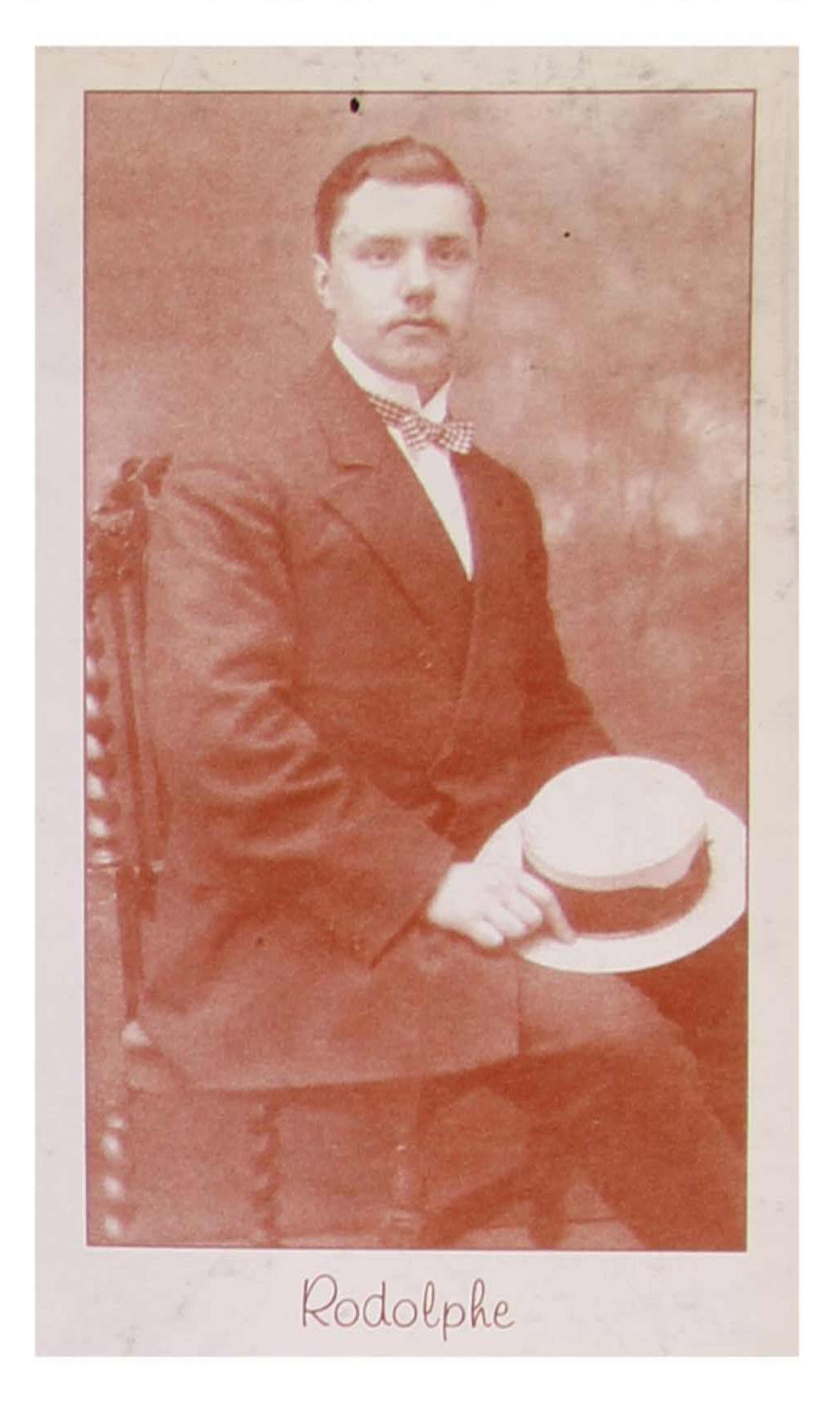
ترك حلب شابًّا متوجّهًا عند خاله في ليشبونا حيث أمضى بضع سنوات وعندما عاد خطب غيتا حمصي التي وقع بغرامها.

دام فترة الخطوبة طويلاً، وقبل عدّة أيام من موعد الزواج، وبعد أن تمّت جميع الاستعدادت للاحتفال بالعرس: من فستان العرس إلى بطاقات الدعوة والمجوهرات التي وجب أن يقدّمها لخطيبته وقد جبلتها أختها غيتا من روما، فُسخت الخطوبة. هناك روايتان عن قصّة فسخ الخطوبة، إحدهما لآل بوخه والثانية لآل حمصي. بالنسبة لآل بوخه يكمن الخلاف حول برادي غرفة النوم التي أرادها آل حمصي من الحرير، أمّا آل بوخه ففضّلوا أن تكون من قماش أقلّ ثمن. أمّا بالنسبة إلى آل حمصي، والقصّة قد تكون مضحكة، وتكمن في الخلاف على أمكنة جلوس المدعوّين على الطاولة (طاولة العشاء، بحسب مكانة كلّ أسرة ومستواها الاجتماعي). وفي نهاية المطاف، كان وقع فسخ الخطوبة رهيبًا على رودلف. ومن غيظه خطب فتاة فرنسيّة كانت تقطن حلب بسبب وجود والدها في المدينة، واسم الفتاة جان ريغال (Jeanne Rigal). كانت جان فائقة الجمال وتصغره كثيرًا في السنّ نظرًا لكونه قد تخطّى الخامسة والأربعين من العمر. كان الزواج بائسًا، فجان لم ترتبط برودلف عن حبّ، بل عن انجذاب نحو مكانته الاجتماعيّة.

وأتت خيبة الأمل كبيرة، فقد اعتقدت بأنّها ستعيش حياة عظيمة، وكان العكس. إذ، بعد حياة عاصفة، لم تدم إلاّ بضع سنوات، تركته مع طفلَين، فتاة هي نيقول (Nicole) وفتًى هو ألبير (Albert)، ويُلقّب أخصّاؤه برتي (Berty).

بعد مغادرة زوجته، انطوى رودلف على نفسه، وعاش حياة قاسية وربّى ابنيه بحزم. وأصبح صامتًا ذاك الذي طالما أحبّ الغناء والرقص، وامتاز بصوت رخيم (Ténor) كان يفخر به، وكان يقود جميع الرقصات الثنائيّة، وخاصّة رقصة الجنود (Danse des Lanciers)، (وهي رقصة ازدهرت بفرنسا في منتصف القرن التاسع عشر حيث كان الجنود يرقصون على أحصنتها)، أضف إلى ذلك أنّه كان دائم الأناقة ويختار أزياءه بحسب الموضة، ويضحك، الخ... تقول مؤلّفة الكتاب: احتفظتُ عنه في ذاكرتي أنّه رجل حازم، وكان يُشعرني ببعض الخوف.

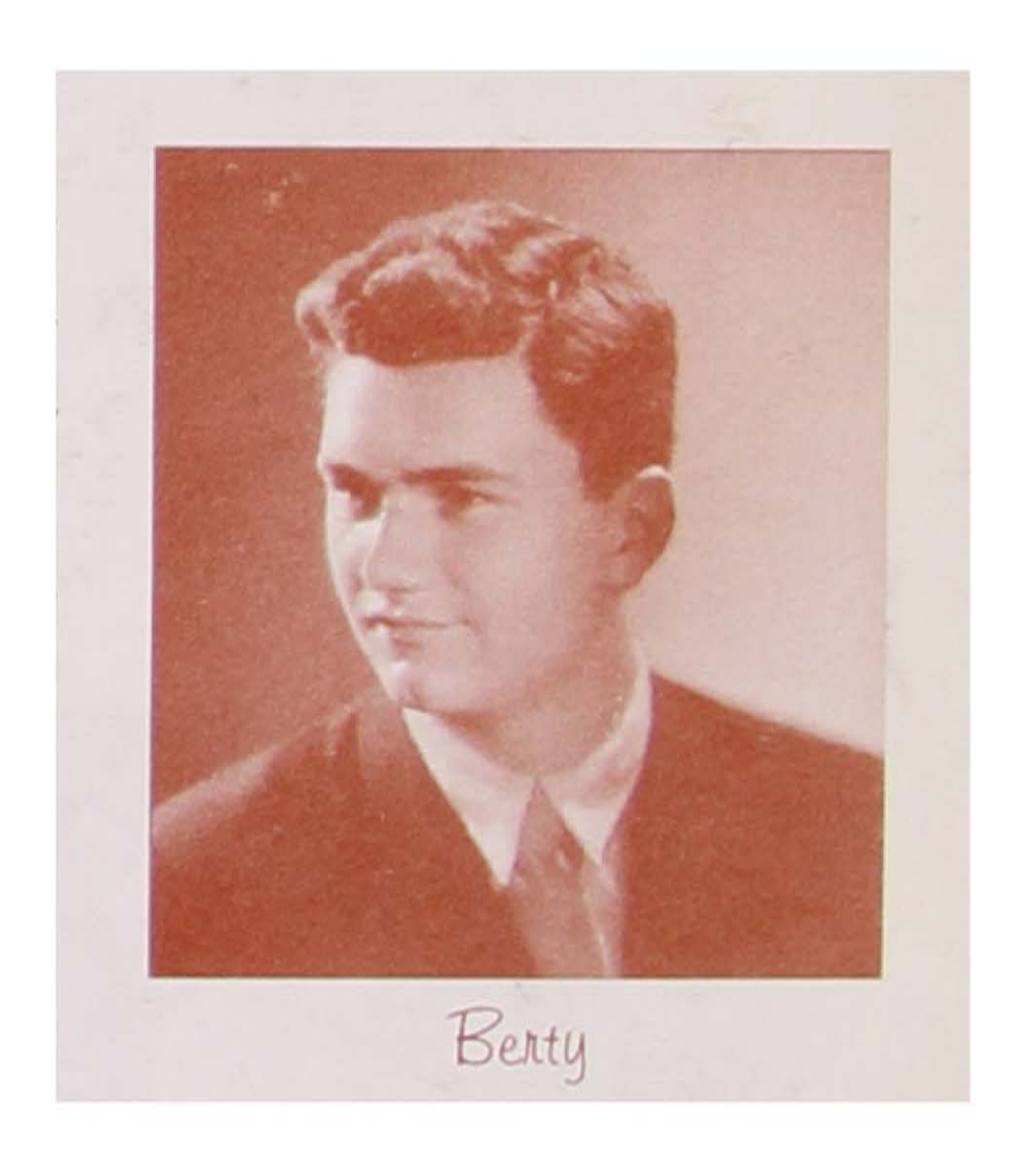
وضع رودلف آماله بأسرته، وخاصّة بابنه بيرتي وريثه الوحيد الباقي من آل بوخه، غير أنّ الشاب تركه وغادر إلى بيروت، وكذلك فعلت الصبيّة إذ تزوّجت رغمًا عنه، الأمر الذي زاد من حزنه ووحدته. وجاء موته أكثر حزنًا من حياته، إذ توفّي مصابًا بحروق من الدرجة الثالثة إثر حريق شبّ من سخّان المياه في حمّامه.


Rodolphe


Rodolphe Poche épousa Jeanne Rigal
Leurs enfants
Nicole
Berry

ألبير (بيرتي) رودلف ألبير بوخه (Albert "Berty" Rodolphe Albert Poche)

أكمل ألبير (بيرتي) علومه ببيروت بعيدًا عن والده، ومن بعد تخرّجه فضّل العيش في أوروبّا حيث تزوّج وأنجب ابنًا سمّاه كليمان (Clement). وهو لا يزال يعيش في باريس حيث درس علم الموسيقى.



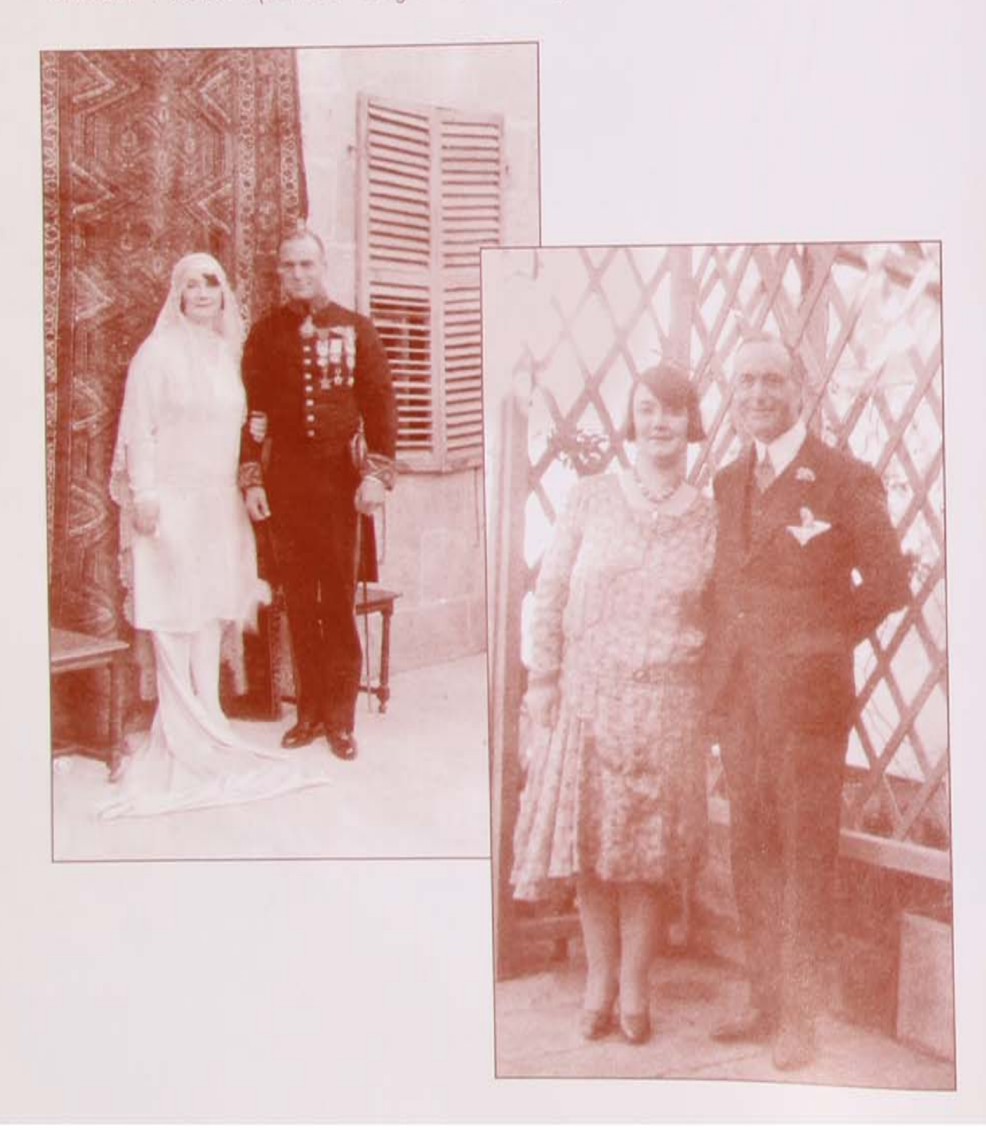
نيقول رودلف ألبير بوخه (Nicole Rodolphe Albert Poche)

كانت نيقول فائقة الجمال، وأُغرمت، قبل أن تتجاوز السابعة عشرة، بجارها وتزوّجت منه. شكلّ ذلك مأساة على آل بوخه الذين كانوا متمسّكين بتقاليدهم، فنبذوها. وبعد أنجبت من زوجها ثلاثة أبناء، تركته وهربت إلى أوروبّا، فعاد رودلف وتصالح معها. عاشت في فرنسا وتزوّجت ثانية وأنجبت ابنًا. غير أنّ زوجها الثاني توفّي بحادث سيارة. وهي لا تزال تعيش بفرنسا.


Nicole



Hilda Poche épousa Eugène Mouray (Consul de France à Alep)



آدولف ألبير بوخه (Adolphe Albert Poche)

آدولف آخر أبناء ألبير وأوجيني. ولد بحلب سنة ١٨٩٥. وكانت ولادته سبب ابتهاج لجميع الأسرة لأنّه كان ذكرًا. دلّلته أخواته كثيرًا وذلك بسبب فارق العمر الكبير بينهنّ وبينه. واهتمّت به إلفيرا بشكل خاص.

أُصيب في الثالثة من عمره بمرض التهاب السحايا (Méningite)، وهو مرض لم يكن قابلاً للعلاج آنذاك، والإصابة به تعني الموت الحتميّ. أرعب الأمر الجميع، وأمّه بشكل خاص، فنذرته للقدّيس فرنسيس البدواني (San Francesco di Padova)، ووعدت أنّه عندما يُشفى، ستُلبسه ثوب القدّيس لسنة كاملة (هو ثوب الرهبان الفرنسيسكانيّين البنّي اللون مع الحبل الأبيض على الخصر). وحصلت أعجوبة شفائه. والتزمت الوالدة بنذرها.



بقي آدولف بالنسبة إلى الجميع الطفل السيّد لفترة طويلة. وكان طفلاً خجولاً جدًّا، حتّى إنّه لم يكن يجرأ على التوجّه (بطلب) من أخته البكر غيتا إلاّ عبر بطاقة مكتوبة من والدته.

درس بمعهد الشيباني للآباء الفرنسيسكانيّين. وبعد أن أنهى دروسه بحلب، اختار دراسة الطبّ. فكان اختياره تمزيقًا لأمّه التي أُجبرت على الانتقال للسكن ببيروت. ومن بعد إتمامه لدروسه ببيروت، انطلق إلى فينّا (كانت الأسرة تتمتّع بجواز سفر نسماويّ-هنغاري). وهناك أنهى دروسه واضطرّ للعودة بسبب استعار الحرب العالميّة الأولى. تطوّع في الجيش النمساويّ-الهنغاري وعُيّن في فلسطين برتبة مقدّم. وبعد انتهاء الحرب في الثامن والعشرين من تشرين الأوّل سنة ١٩١٨، أُعلن الاستقلال في براغ (Prague)، وأصبحت بوهامية جزءًا من دولة تشيكوسلوفاكيا، فانتقلت جنسيّة الأسرة تلقائيًّا لتصبح تشيكيّة. وبعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية، أُدجرت تشيكوسلوفاكيا ضمن جمهوريّة روسيا الاتحاديّة، ففقدَ آل بوخه جنسيّتهم التشيكيّة وأصبحوا بدون قيد مدنيّ حتّى سنة ١٩٥١، عندما اختار آدولف الجنسيّة السوريّة.

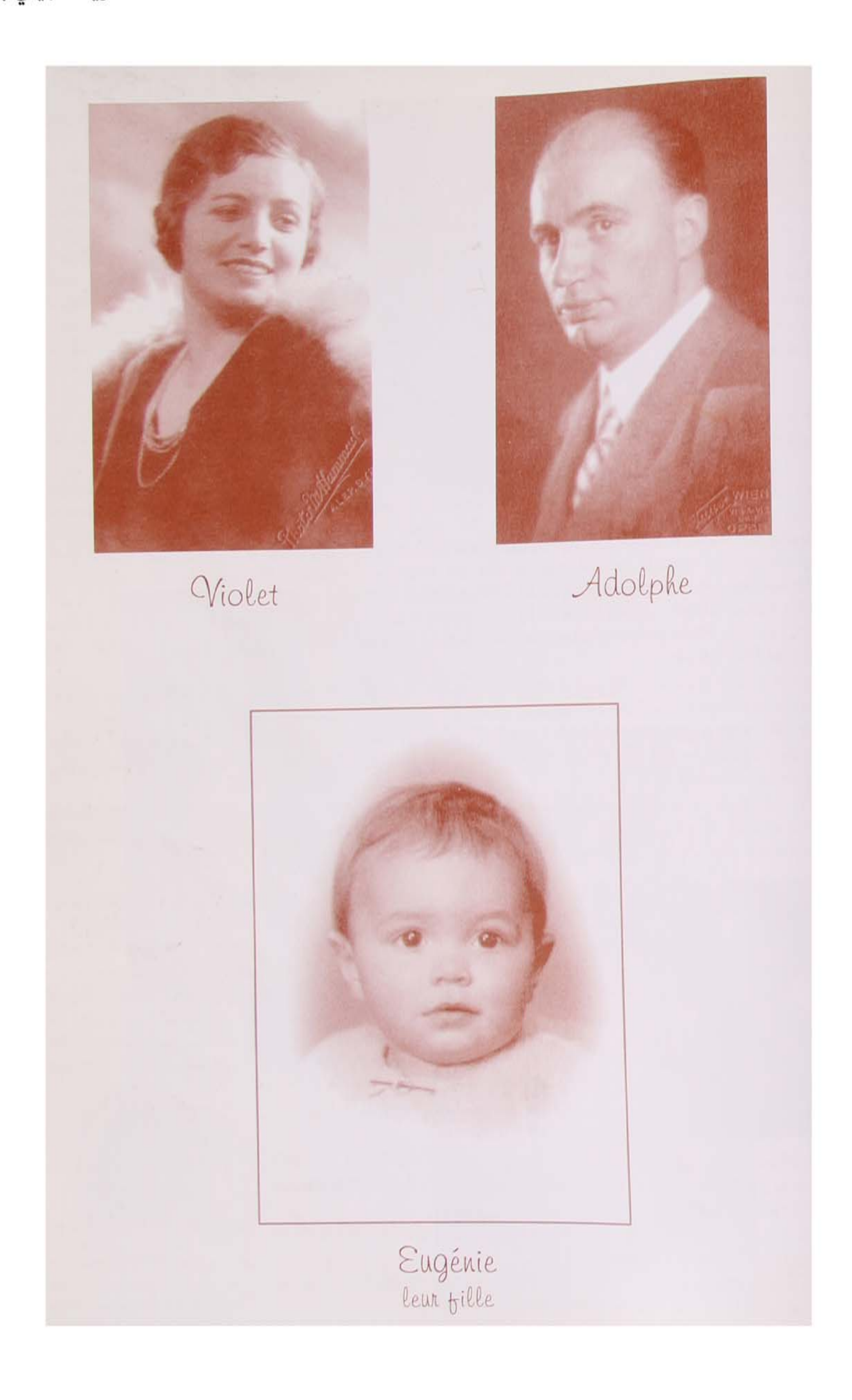
عاد آدولف إلى حلب سنة ١٩١٨، ومكث فيها كطبيب عام (généraliste). وأدخل للمرّة الأولى إلى سوريّة مادّة كينين (quinine) التي تُوقف المرض الذي تتسبّب بانتشاره حشرات الأرز (rizières) والبعوض. كما كان آدولف أوّل طبيب يستعمل أشعّة إكس لتحديد مرض السلّ الذي كان شديد الانتشار في البلد بتلك الحقبة. كانت عيادته في قسطل الحجّارين، وعمل كطبيب أشعّة في مستشفى ألطونيان، وهو من أوائل أطبّاء الأشعّة في سوريّة.

لم يتزوّج شابًّا، بل اقترن، بعد أن تخطّى الأربعين، بفيوليت سكوداموريه (Violet Scudamore) التي التقى بها في حلب سنة ١٩٣٧، وكانت برفقة زوجها الأوّل آرثور مونك-مازون (Arthur Monck-Mason) قنصل إنجلترا العام، وأُغرم بها. بدا ذلك الحبّ مستحيلاً.

تركت فيوليت حلب للالتحاق بمركز عمل زوجها في الموصل. وخلال وجودهما هناك اندلعت فتن، بعد موت الملك غازي الذي اتُهم الإنجليز بقتله. فأُخذ القنصل عنوة وقُتل بضربة فأس.

ذكرت صحيفة التايمز، بعددها الصادر في الخامس من نيسان سنة ١٩٣٩، ما نصّه: جريمة قتل قنصل إنجلترا (تجمّع مزدحم في الموصل هذا الصباح... الملك والعاملين معه فوجئوا بمثيري الشغب... صُعقت القنصليّة البريطانيّة بالخبر، وقُتل القنصل قبل أن تتمكّن السلطات المحليّة من التدخّل). كانت السيدّ مونك-مازون على شرفة منـزله يحاول تهدئة مثيري الشغب... سبب مقتله ضربة فأس قضت عليه".

في هذه الأثناء كانت فيوليت بإنجلترا مع أبنائها الثلاثة الذين كانوا في مدرسة داخليّة.



Violet

Adolphe

Eugénie
leur fille

جرت مراسلات متواترة بين آدولف وفيوليت على امتداد ما يناهز سنة. كان يراسلها بالفرنسيّة وتُجيبه بالإنجليزيّة رغم أنّ اتقانها للفرنسيّة كان جيّدًا جدًّا.

وطلبها للزواج، فتركت إنجلترا، في مطلع تمّوز سنة ١٩٤٠، وتزوّجا بحلب في الثامن منه.

عاجل السرطان طريقه إلى جسم فيوليت، وتوفّيت سنة ١٩٤٥. ولم ينجبا ذكرًا، بل فتاة منحها آدولف اسم أوجيني تيمّنًا باسم جدّته، غير أنّ فيوليت رأت الاسم رصينًا (غير متماشى مع العصر) فأطلقت عليها اسمًا آخر هو جينّي (Jenny).

وعاد آدولف وتزوّج، سنة ١٩٤٧، من ألمانيّة هي بيتّينا أو بربارة زورن (Bettina ou Barbara Zorn)، التي عُرفت بلقب بتّي (Betty). لم يتركا نسلاً. وتوفّيت بحلب سنة ١٩٧٤.

مكانة آدولف ألبير بوخه وشهرته الطبيّة

نال آدولف شهادة دبلوم الدولة الفرنسيّة في الطبّ سنة ١٩٢١ (Diplôme d'Etat Français).

ودبلوم من مستشفيات باريس.

وخلف والده بمنصب قنصل للبلاد المنخفضة (Pays-Bas) إبّان حكم الفيصليّين (١٩١٩-١٩٢٠)، وكُلّف بحماية المصالح الفرنسيّة.

كانت تلك فترة صعبة لُحظ خلالها العداء للفرنسيّين. ومن بين الأحداث التي تتابعت أن هرب الأمير مختار الجزائرلي وأخته ولجأا إلى قنصليّة البلاد المنخفضة.

كما نُقلت، بظروف غاية في الصعوبة، مبالغ وأرشيف الضابطة الفرنسيّة، ووضعت في القنصليّة.

نظّم آدولف استقبال أوّل مندوب فرنسيّ لحلب هو الجنرال دو لاموت (de Lamothe) الذي وصل في الثاني والعشرين من تمّوز سنة ١٩٢٠.

في سنوات الانتداب الأولى، وبصحبة السيّدة الجنرال بيلوتّ (Bilotte)، أسّس ونظّم "دار حضانة" (Goutte de lait)، وكذلك "استشاريّة الرضع" (Consultation aux nourrissons)، وهي مؤسّسة فرنسيّة محلّيّة. وكرّس ذاته لخدمتها طوال ستّ سنوات.

مع إعلان الحرب العالميّة الثانية، سنة ١٩٣٩، اكتتب في الصليب الأحمر الفرنسيّ، وقدّم خدماته لأدارة صحّة جيش المشرق.

انتُخب رئيسًا لجمعيّة علم الآثار (Société Archéologique)، فحاضر، وكتب مداخلات طبّيّة وتاريخيّة باللغة الفرنسيّة، واهتمّ باستئناف العمل مع المؤسّسات المتقنة للفرنسيّة التي مُنعت بنتيجة السياسة العدائيّة للغرب التي مارسها النظام الحاكم.

واستمرّ يجمع نواة الجامعيّين والآدباء المهتمّين بالدراسات التاريخيّة، وكانت المحاورات باللغة الفرنسيّة.
نال الأوسمة الفخريّة التالية:
وسام ضابط منظّمة ليوبولد البلجيكيّة. (Officier de l'Ordre de Léopolde de Belgique).
فارس منظّمة التاج البلجيكيّة. (Chevalier de l'Ordre de la Couronne de Belgique).
ضابط منظّمة الاستحقاق الفرنسيّة. (Officier de l'Ordre du Mérite-France).
فارس المنظّمة المالكة لمالطا. (Chevalier de l'Ordre Souverain de Malte).
صليب حرب الإمبراطوريّة النمساويّة (١٩١٤-١٩١٨). (Croix de Guerre de l'Empire d'Autriche).
صليب حرب الإمبراطوريّة العثمانيّة (١٩١٤-١٩١٨). (Croix de Guerre de l'Empire Ottoman).
وسام ضابط الاستحقاق النمساويّ، سنة ١٩٣٦. (Officier de l'Ordre du Mérite-Autriche).
وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الثانية، سنة ١٩٣٧. (Mérite Syrien deuxième classe).
وسام كبير ضبّاط منظّمة الاستحقاق السوري، سنة ١٩٧٦. (Grand Officier de l'Ordre du Mérite Syrien).

أسرة سكوداموريه (Scudamore)



ولدت فيوليت، سنة ١٨٩٧، في جزيرة كندلّي (Kandelli) بتركيّا. وكانت واحدة من الجزر الخاضعة للأمراء. شغل والدها ريجينال (Reginald) منصب قنصل بريطانيا العظمى لدى الباب العالي باستانبول (القسطنطينيّة). وكانت هي الابنة الثالثة لأب وأمّ أنجبا خمسة أبناء، أربع بنات هنّ ليليان وفيلّيس وفيوليت وإيريس (Lilian, Phyllis, Violet et Iris)، وفتًى هو فرانك (Frank). واسم والدتها جورجينا (Georgina).

كانت كندلّي أصغر جزر الأمراء والأقرب إلى استانبول. وامتلكت الأسرة بيوتًا خشبيّة على ضفاف البوسفور. بعد طفولة سعيدة تزوّجت من رجل أرمل ويكبرها سنًّا هو آرثور مونك-مازون (Arthur Monck-Mason)، وكان قد أنجب فتاتَين من زواجه الأوّل، وصبيًّا هو رودني (Rodney).

تبعت زوجها إلى مختلف البلاد التي شغل فيها منصابه: استانبول وحلب والقاهرة وطاطوان في المغرب (Tétouan) والموصل. وأنجبت منه صبيّين هما فيفيان وغوردون (Vivian et Gordon)، وفتاة هي ماري (Mary). وكانت في إنجلترا عندما قُتل زوجها في الموصل (كما سبق وسردنا كيفيّة مقتله). وكانت، لتوّها، قد اشترت بيتًا وسكنته، لأنّ أبناءها ظلّوا في إنجلترا لإكمال دروسهم.

تعرّفت، أثناء مرورها بحلب، على آدولف بوخه وأُغرمت به.

تركت إنجلترا بعد موت زوجها، سنة ١٩٤٠، وتوجّهت إلى حلب. وبما أنّ آدولف سبق وطلبها للزواج، فقد تزوّجته.

كانت القوانين الكنسيّة صارمة في تلك الحقبة، فوجب عليها اعتناق الإيمان الكاثوليكي لكونها أنجليكانيّة المعتقد.

أُصيبت بالسرطان، بعد ولادة ابنتها جينّي. وحبلت ثانية بصبيّ، ولكنّها أجهضت. وتوفّيت بحلب، سنة ١٩٤٥، بعد فترة علاج طويلة بالقدس.

تكريم لذكرى الطبيب آدولف بوخه بقلم الأستاذ غبرييل غزال

اجتمعنا اليوم لنُحيي ذكرى ذاك الذي نال، منذ ولادته، ثرورته ورصيده من طيبه خاصّة، ومن تواضعه وكِبَر نفسه، سيّد حلب السامي.

تعرّفتُ عليه، للمرّة الأولى، منذ حوالي ستّين سنة، عندما كنت لا أزال تلميذًا في معهد الأرض المقدّسة بالشيباني. وعندما تقاعدتُ ومرضتُ، بقي الدكتور بوخه طبيب المعهد، يعتني بي ويقوّيني بنصائحه الفاعلة. مذ ذاك، لم أنسَ هذه الشخصيّة النبيلة، وذاك الوجه الناعم والعطوف.

بعد عودتي من فرنسا، سنة ١٩٣٤، انضممتُ إلى جمعيّة علم الآثار التي كان الدكتور بوخه أحد أعضائها النافذين.

وهكذا كنّا نلتقي دوريًّا في الاجتماعات، وخاصّة في صياغة نصوص المجلّة التي كان يُسهم فيها.

وكرئيس جمعيّة علم الآثار، سنة ١٩٥٢، ثمّ كرئيس فخري مدى الحياة، كانت، لي معه، بصفتي أمين سرّ الجمعيّة، قرابة ما يزيد عن ربع قرن، من العلاقات المكثّفة. كنت أذهب إليه، في خان النحّاسين، كلّ ثلاثاء لمناقشة شؤون الجمعيّة وبرامجها، ومحاضراتها وجولاتها.

وخلال الأسفار التي أمضيناها معًا، سواء في سوريّة أو في الاغتراب، تعلّقت به وهكذا تسنّى لي أن أثمّن فيه أسمى الصفات التي طالما تمتّع بها.

ولد في أسرة أرستقراطيّة ودبلوماسيّة، كان فيها كلّ من جدّه ووالده وأعمامه ممثّلين لمختلف الدول الأوروبيّة، وكان هو قنصل النمسا ثمّ بلجيكا، ولطالما تصرّف بشرف وأدب مثاليَّين.

وكوطنيّ حلبيّ بغير تزمّت وطنيّ، أحبّ مدينته وبيته. أذكر جوابه، في أحد الأيام، لحاكم حلب الذي زاره، وأسرّ لي بما قاله الحاكم وبما أجاب هو. سأله الحاكم: لماذا لا تسكن حضرتك فيلاً جميلة في محلّة السبيل، فلديكم ما يكفي من الوسائل؟ أجابه بشكل معاكس تمامًا: سيّدي الحاكم، ولد أبي في هذا البيت، وأنا ولدتُ فيه، وأعيش فيه وسأموت فيه.

ولقد تحقّقت أمنيته، فودّع ذويه وأصدقاءه ومعارفه، ورقد بسلام في قاعة البيت الكبرى.

في هذا البيت استقبل الدكتور بوخه جميع زوّاره الذين كانوا يُصرّون على التعرّف به وزيارة بيته. شُيّد هذا البيت، سنة ١٥٣٦، كقنصليّة لسموّ جمهوريّة البندقيّة، ولم ينقطع سُكنى آل بوخه فيه حتّى هذه الأيام. ولا يزال علم القدّيس مرقس وشهادات تنصيب القناصلة محفوظة فيه.


Violet et Arthur Monck-Mason à Alep en 1935

وأصبحت زيارة هذا البيت، لكلّ رفيع شأن يطأ حلب، تقليدًا مثلها مثل زيارة القلعة والأسواق.

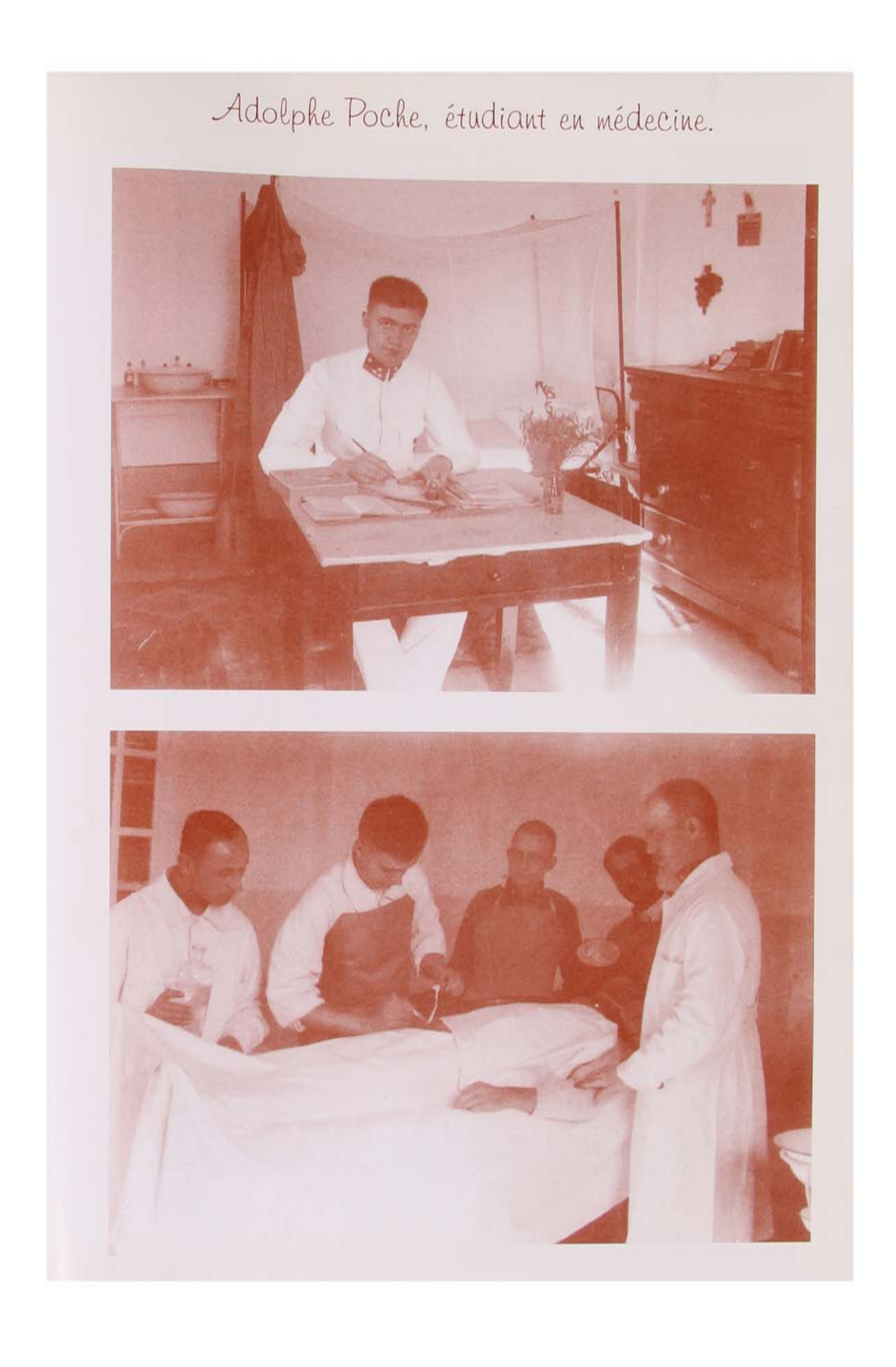
واستقبل هذا البيت ملوكًا، كملك سوريّة فيصل، وملك بلجيكا ألبير، وأمراء، ورؤساء دول، وسفراء، وكتّابًا، وعلماء آثار.

تكفي الاستعانة بالكتاب الذهبيّ الموجود في مكتبته للاطّلاع على تسلسل هذه الشخصيّات السامية التي عبّرت له عن إعجابها وشُكرانها لمالك هذا المتحف. إذ لم يكن متحفًا كغيره، بل كان مسكونًا وحيًّا. وكان مالكه يشعر بالمتعة وهو يرافق زوّاره شخصيًّا، ويشرح لهم طبيعة كلّ تحفة ومصدرها وقيمتها. ولكلّ شيء قصّته وطُرفته بالنسبة إليه.

لطالما فتن بحواره الفقيه والشيّق محادثيه... يكلّمهم، بحسب حاجتهم، بالفرنسيّة وبالإنجليزيّة وبالإيطاليّة وبالألمانيّة. كان حقًّا شعاع شمس يُبرق هذا البيت ويُعطيه حياة ودفءً.



Adolphe Poche
né à Alep en 1895, décédé à Alep en 1987


Adolphe Poche, étudiant en médecine.

وكانت لراحلنا، المأسوف عليه، ذاكرة فائق للعادة، لم تخنه حتّى آخر أيامه. فيتذكّر الأحداث والمظاهرات التي تتابعت في حلب منذ بداية هذا القرن (القرن العشرين)، ويتذكّر الحكّام والقناصل، والأسر الأوروبيّة التي قطنت فيها، وكذلك المسافرين والمؤرّخين وعلم الآثاء الذين أقاموا فيها ولو لفترات.

من المؤكّد، أنّ الدكتور بوخه لم يحبّ أن يكتب كثيرًا، ورغم ذلك، نحتفظ في أرشيفه بمدوّنات وتقارير بالغة القيمة عن بعض المواضيع أو الأحداث الحلبيّة. لقد أسهم في تحرير مجلّة علم الآثار، نشر العديد من المقالات ذات قيمة بالغة، منها: "حلب مركز قوافل" (Alep centre caravanier)، "الحثّيّين في سوريّة" (Les Hittites en Syrie)، وآخر مقال "حلب وعلاقاتها مع أوروبّا في القرون الأخيرة" (Alep et ses rapports avec l'Europe aux derniers siècle).

لقد أغدق ماله في خدمة التحف القديمة ومتاحف سوريّة. وعُقد في بيته، سنة ١٩٦٤، "المؤتمر العالميّ لأيام الزجاج" (Le congrès International des Journées du Verre). وأهدى متحف حلب العديد من القطع العربيّة القيّمة، وكذلك أهدى جمعيّة علم الآثار مخطوطات نادرة.

عرفان بجميل تعلّقه الحارّ ببلده وسخائه لأجل مدينته حلب، منحه فخامة رئيس الجمهوريّة حافظ الأسد وسام كبير ضبّاط منظّمة الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى، (Grand Officier de l'Ordre du Mérite Syrien). وسام لم يعلقّه على صدره البتّة.

حاز الدكتور بوخه على احترام جميع الناس وعاطفتهم. وأُحسُّ (بمشاعر) بالجميع. ومن سماته الأخرى، أنّني غالبًا ما رافقته في خروجه، وكنت أرى أبرع تجّار السوق ينحنون عند مروره ويحيّونه، وهو يخلع قبّعته ويُجيب على تحيّاتهم بأدب.

لقد كان الشخص، الذي نُحيي ذكره، طبيبًا إنسانيًّا كبيرًا، وفضله كبير على حلب. ما أن أنهى دروسه الثانويّة في معهد الأرض المقدّسة سنة ١٩١٠، حتّى سافر إلى فينّا ليُكمل دراسة الطبّ. واستُدعي، سنة ١٩١٥، للخدمة العسكريّة بصفته طبيبًا نمساويًّا، وعُيّن في جبهة بير السّابة (Ber Essabé) حيث الأمراض مبيدة، والافتقار إلى كلّ شيء بما فيه الغذاء.

سنحت لي الفرصة أن ألتقي عنده بأشخاص تقدّموا بالسنّ، فأكّدوا لي أنّهم إذ لا يزالون على قيد الحياة فذلك بفضله. وقالوا: لقد نذر نفسه لمرضاه.

وأعلم يقينًا أنّه كان يعالج كثيرين من المرضى الذين لا مداخيل لهم مجّانًا، وغالبًا ما كان يُعطيهم الأدوية المتوفّرة لديه. ولطالما تعامل، في حياته كطبيب، وفق مبادئه الإنسانيّة الرفيعة. ولكي يختم نشاطاته الطبّيّة، أهدى مكتبته الطبيّة لكليّة الطبّ بحلب ليتسنّى للشباب الدارسين الاستفادة منها.

إنّه مشروع جسور أن أصف صفات رفيعة راحلنا المأسوف عليه جدًّا. أيّ طيب، أيّ نبل، أيّ كرم لأجل الخير العام! أيّ تواضع في تصرّفاته، أيّ رزانة في ما تعرّض له من أقسى المحن وأكثرها إيلامًا!

أليس الأوسمة التي منحها إياه رؤساء كبار الدول شاهدة بما يكفي على استحقاقاته السامية؟

لم يحقّق، راحلنا العزيز، المأسوف عليه جدًّا، أعمالاً باهرة استعراضيّة، بل عبقريّة. وكلّ عبقريّته هي هذه الحياة التي عاشها بدون فجوة أو شائبة ملامسًا القداسة. قليلون هم الناس الذين يتمكّنون من التفوّق بحياة حليمة ونـزيهة إلى هذا الحدّ.

خرج الدكتور بوخه من هذا العالم الأرضيّ هانئًا، مستسلمًا لله، مزوّدًا بأسرار الكنيسة المقدّسة، وبزوّادة غنيّة من الأعمال الصالحة.

إنّه يستريح هانئًا بيننا في أرض طالما أحبّها على رجاء القيامة بالله.

هناك رجال عظماء لا يجب أن تنساهم ذاكرتنا.

لن تنسى حلب العارفة للجميل البتّة سيّدها السامي هذا.

ستحفظ ذكراه إلى الأبد في كتاباتها، وخاصّة في قلوب أطفالها.

جبرائيل غزال



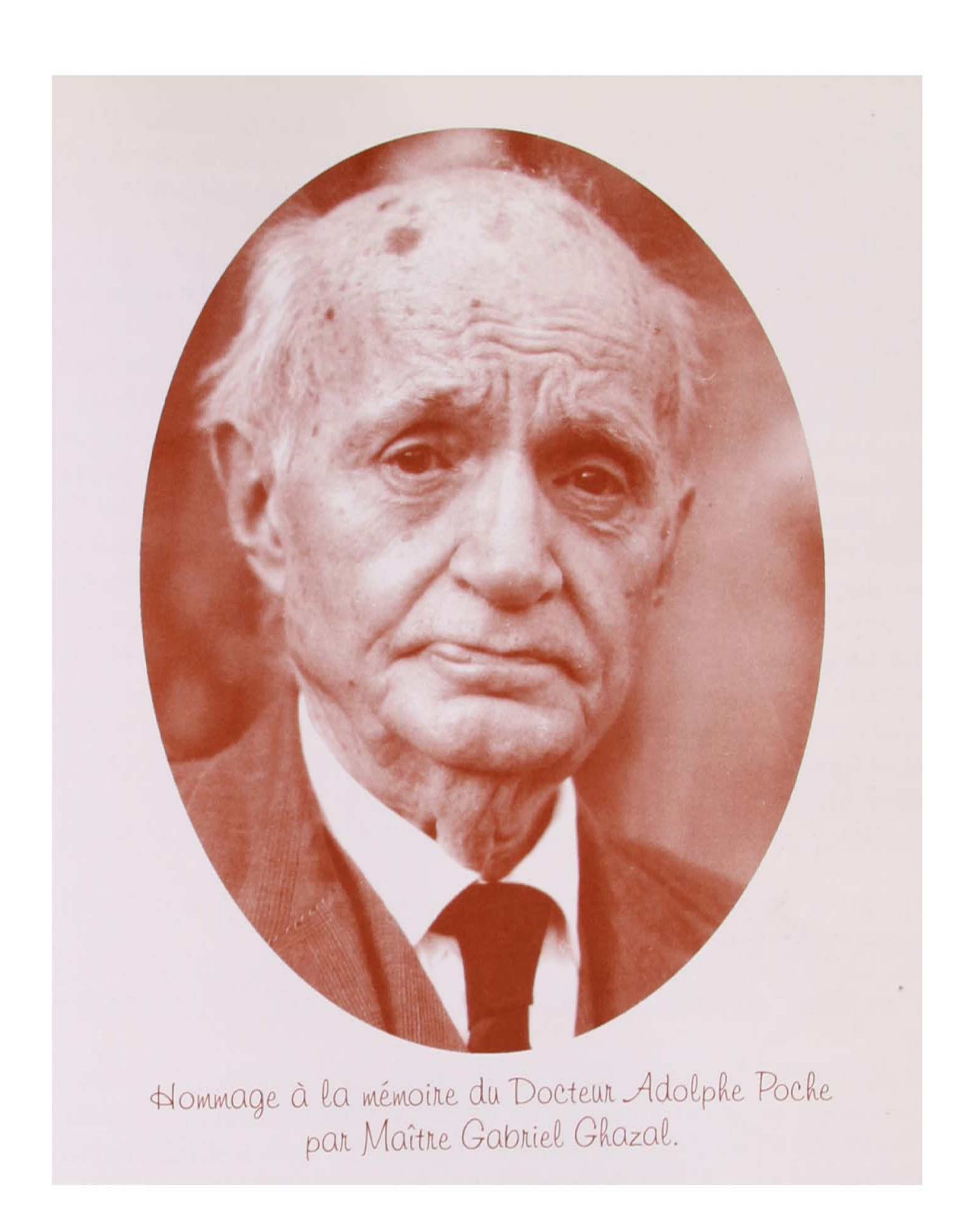

Adolphe Poche étudiant à Paris.
EDITIONS Ed. RIBAUD
PARIS



Adolphe Poche et Assadour Altounian.



Hôpital Altounian à Alep.



Hommage à la mémoire du Docteur Adolphe Poche
par Maître Gabriel Ghazal.

ذكريات جينّي آدولف بوخه

تزوّج آدولف وفيوليت في نيسان. وبعد عشرة أشهر ولدتُ أنا. كانت خيبة الأمل عظيمة، إذ أمِل جميع الناس أن يكون المولود صبيًّا.

أرادوا منحني اسم جدّتي لأمّي أوجيني، واسم جدّتي لأبي جورجينا، واسم عرّابتي مارغريت، غير أنّ والدتي فضّلت الاسم المصغّر جينّي.

في هذا البيت الكبير المؤلّف من ثمانية عشرة غرفة: شغل جوزيف، ابن عمّ أبي، وزوجته ماري ثلاثة غرف منها. وفي عمق الدهليز على الشمال كانت شقّة والديّ (غرفة نوم، صالون صغير، وحمّام).

لم يمضِ وقت طويل من بعد ولادتي، وإذ بوالدتي تحبل مجدّدًا، لكنّها أجهضت بسبب إصابتها بالسرطان. وبدأت تُعالج في القدس حيث هناك مركز مهمّ لعلاج السرطان.

بقيتُ وحيدة في البيت مع حاضنتي التي لم تكن تتكلّم سوى الأرمنيّة، الأمر الذي شكّل مصيبة لأهلي بعد عودتهم.

توفّيت والدتي، سنة ١٩٤٥، ولم أكن إلاّ في الرابعة من عمري. أكاد لا أتذكّر شيئًا عن تلك الحقبة.

كان خان طفولتي جميلاً. في وسطه شجرتَي أكاسيا (Acacia) يفوح منهما في الربيع عطر لذيذ. وكان جميع مستأجري الخان من كبار التجّار. لم يوجد، كاليوم، باعة أحذية، بل جميع شاغلي الخان من وجهاء المدينة.

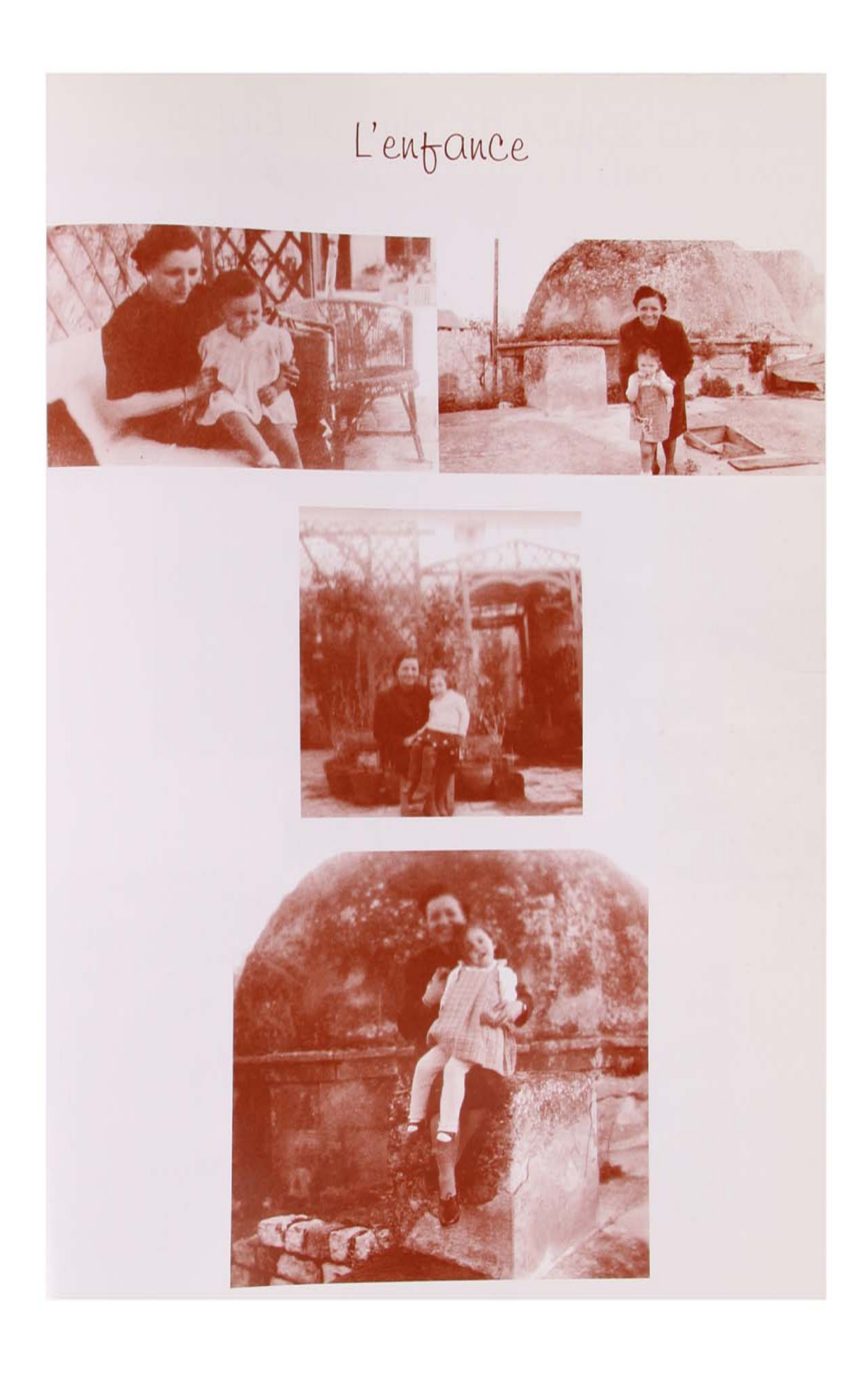
وُجد، على سقف الحمّام قبالة البيت، مقهى صغير، مع راوٍ (حكاواتي). وكنتُ، مساءً، أتسلّق إلى السطح لاستمع. ولطالما وجدتُ ذلك مذهلاً.

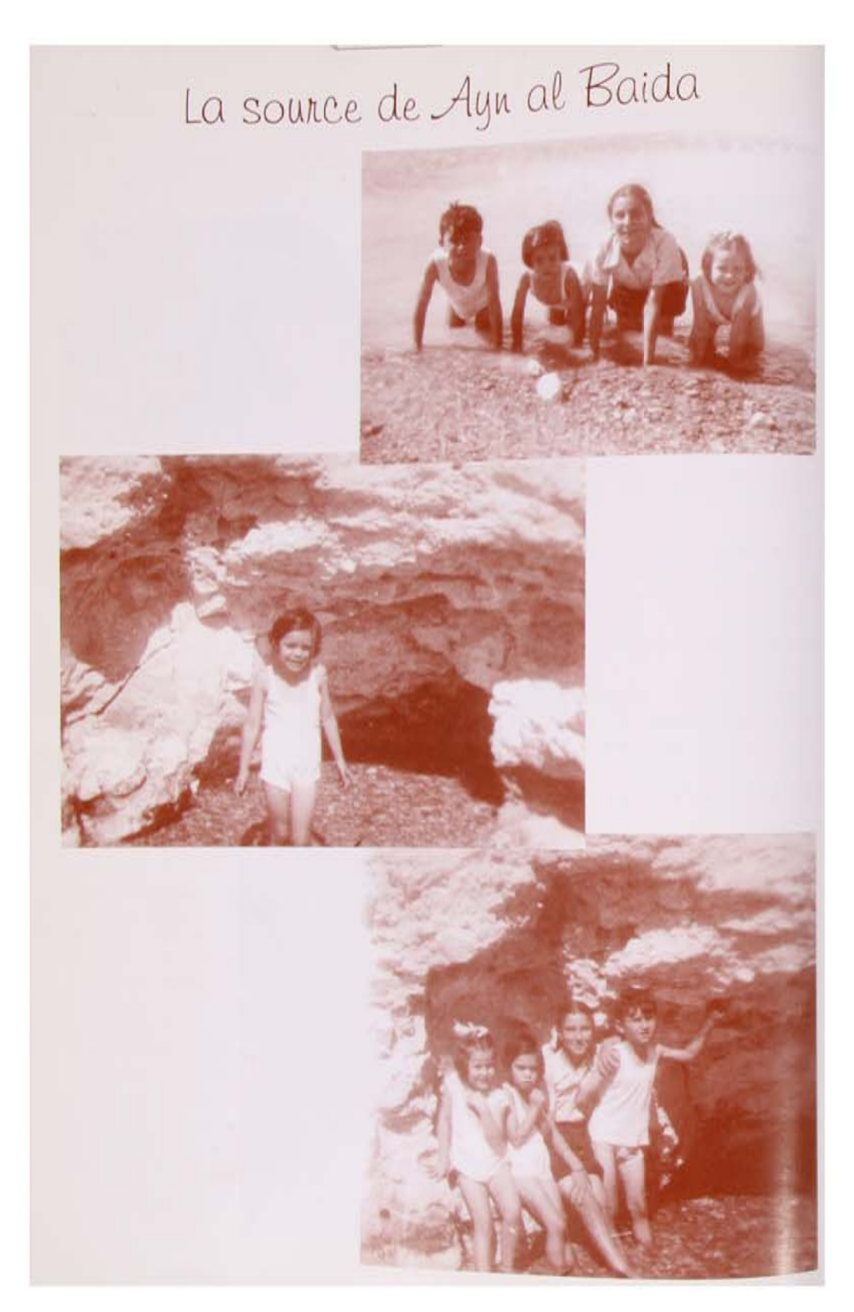
أحاطني كلّ من والدي وعمّتي غيتا بحبّهما، وكنتُ مدلّلة للغاية. وظّف والدي، مدفوعًا من قِبَل الراهبات، شابّة يونانيّة اسمها آنجيل (Angèle) لتكون مربيّة، وكانت ذات طباع خاصّة إذ سبق وشاهدت مقتل والدتها وأختها على يد عاشق غيور.

تزوّج والدي، سنة ١٩٤٧، بالألمانيّة بتّينا زورن (Bettina Zorn).

لم يبدو التغيير قاسيًا عليّ، إذ عاملتني بلطف حتّى بلوغي سنّ المراهقة. ومنذئذ بدأت المناوشات.

من بين أجمل ذكريات طفولتي قضاؤنا عطلة نهاية الأسبوع بعين البيضا، إحدى القرى العديدة التي كانت الأسرة تملكها. وُجد هناك نبع مهمّ كنّا، أنا وأولاد عمّي نحب السباحة فيه. ومن الذكريات الأخرى امتطاء ظهر الحمار، والخيل لاحقًا.


L'enfance



وكنّا نذهب إلى لبنان كلّ صيف. ستّة أطفال، أولاد عمّي وأنا. كانت تلك من أروع العُطل. ومن ذكرياتي غير المستعذبة كثيرًا يوم الخميس أو الجمعة، فأثناء ذهابنا إلى المدرسة برفقة مربّيتي، كنّا نمرّ بباب الفرج حيث الساعة الكبيرة، وهناك، تُعلّق، كلّ أسبوع، مشانق المجرمين نحو الحقّ العام. يُعلّقون فجرًا ويُتركون لينظر الشعب أيّ عقاب يناله الجرم. وإذا بصوت مربّيتي: "إغمضي عينيكِ". أمّا أنا، فكنتُ أتظاهر بإغماضهما، واستقر النظر من بين جفنيّ شبه المقفلَين. لا يزال المشهد يمرّ أمامي وكأنّه اليوم: أجسام بقمصان وطاقيّات بيضاء وقد تدلّت ألسنتها.

درستُ عند راهبات القدّيس يوسف بمحلّة العزيزيّة، كان ذلك تقليدًا أسريًّا.

أرسلني والدي، سنة ١٩٦٠، للدراسة في إنجلترا، إذ طالما تمسّك بأن أُتقن الإنجليزيّة تخليدًا لذكر والدتي. أمضيتُ سنة في فينيشنغ سكول (Finishing school). وبعد عودتي إلى حلب، أصبحت أشياء كثيرة تهمّني: القراءة والموسيقى والسباحة والفروسيّة والسينما، والأمسيات بين الأصدقاء. وهكذا التقيتُ بجورج مرّاش، فتزوّجنا سنة ١٩٦٥، وإذ ذاك تركتُ الخان.


Promenades


Vacances d'été au Liban
Hôtel de Daher el Baz
La forêt du Nass

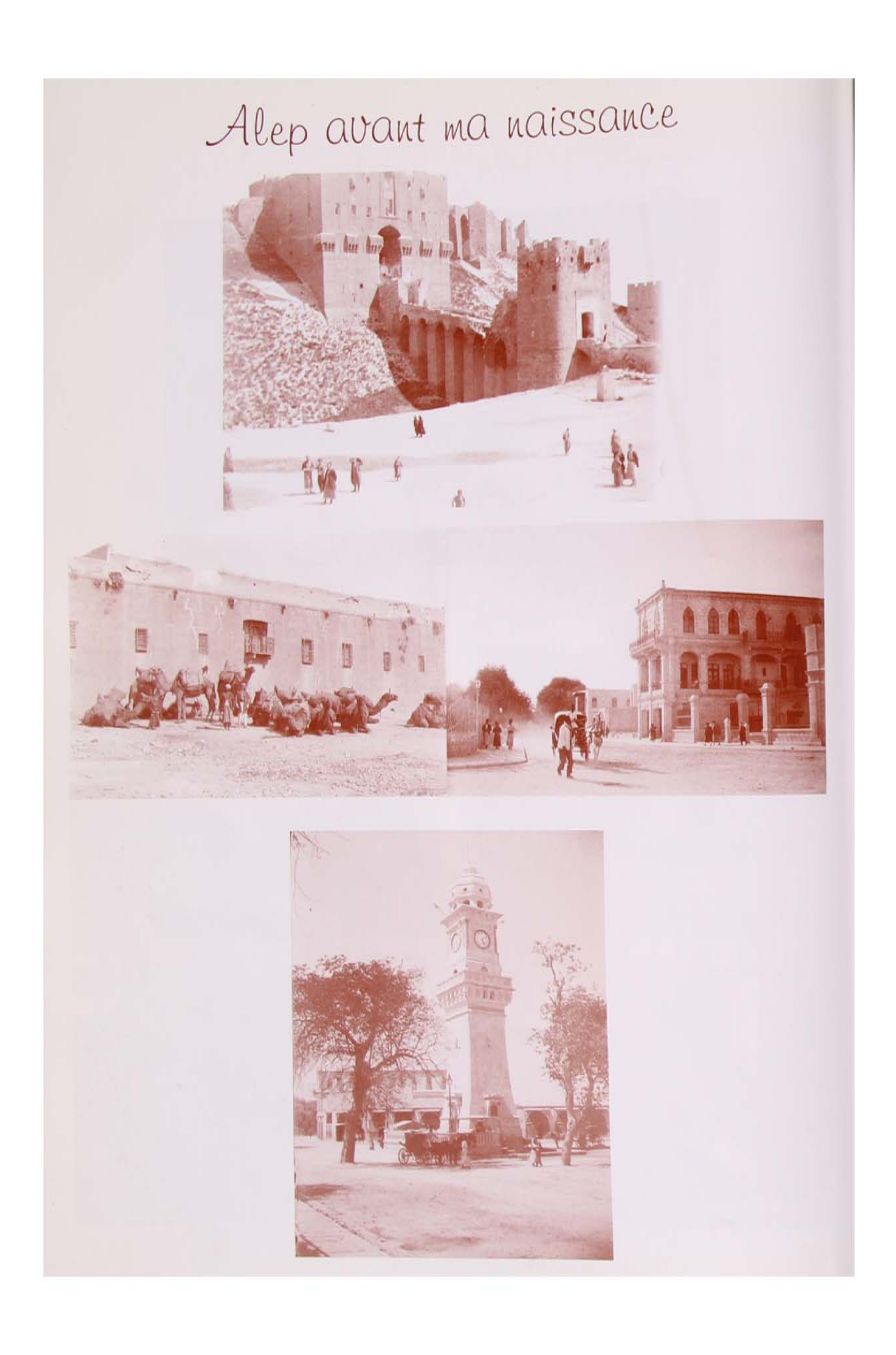




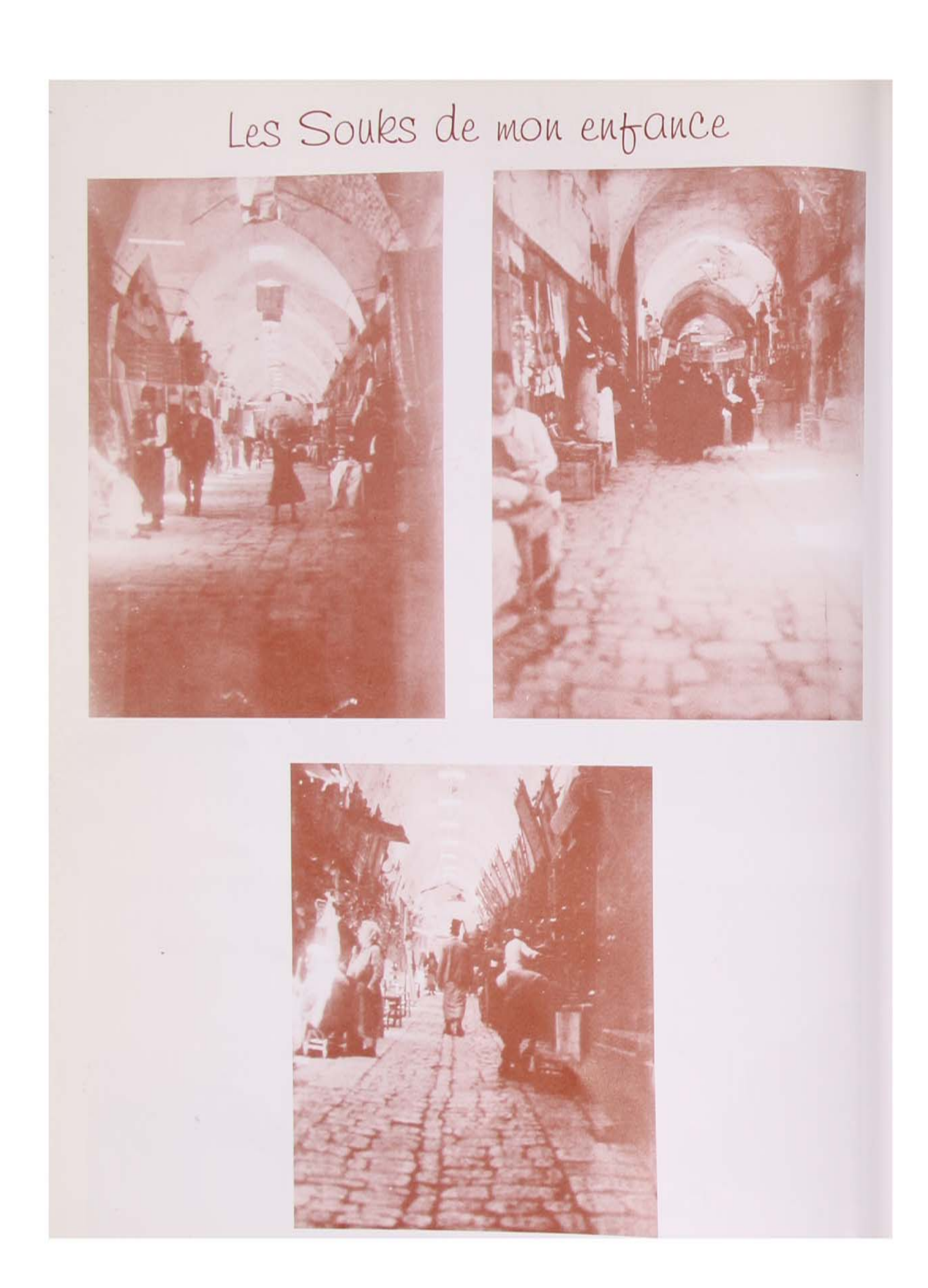
Les années cinquante

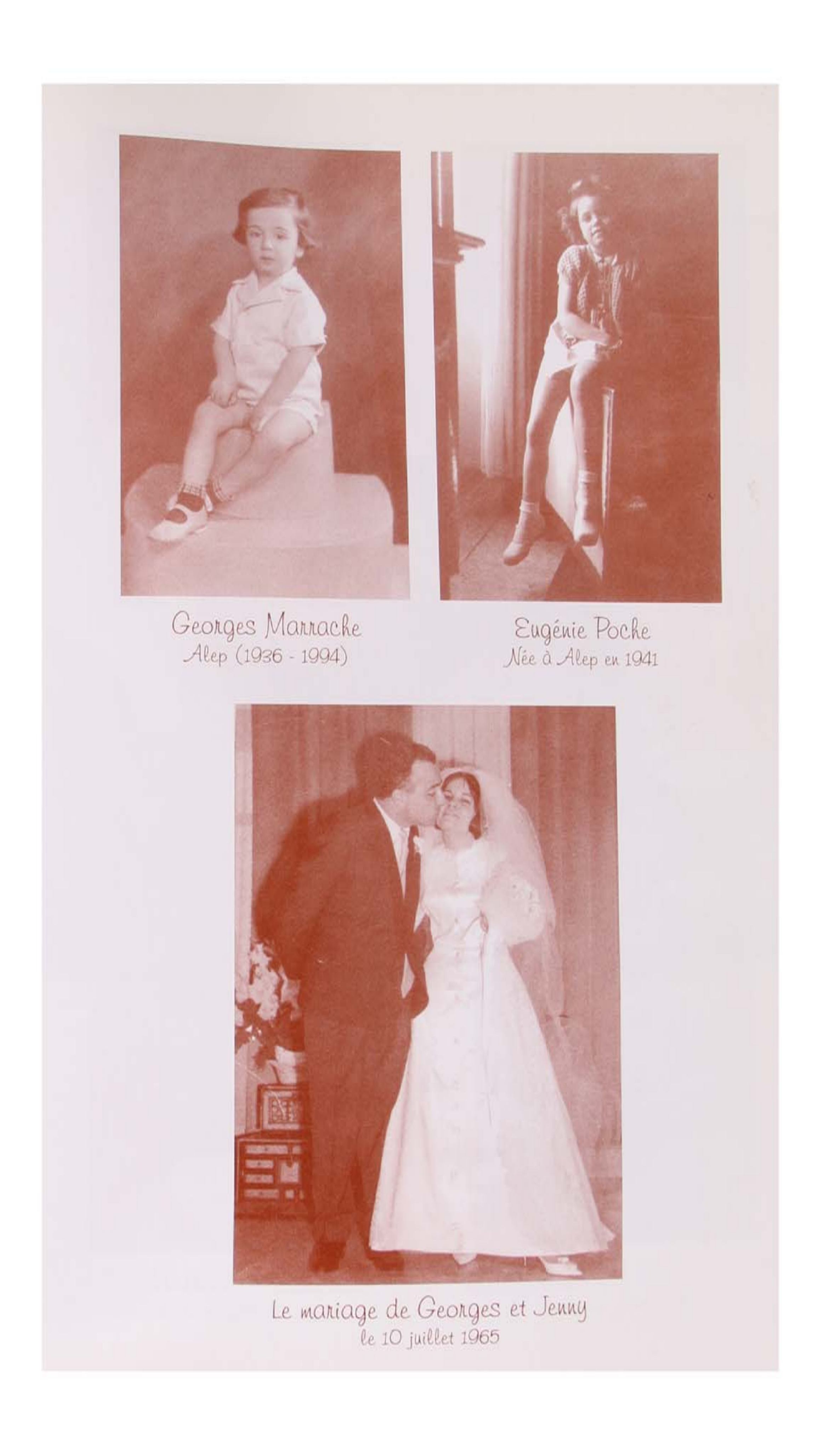





Alep avant ma naissance


Alep de mon enfance

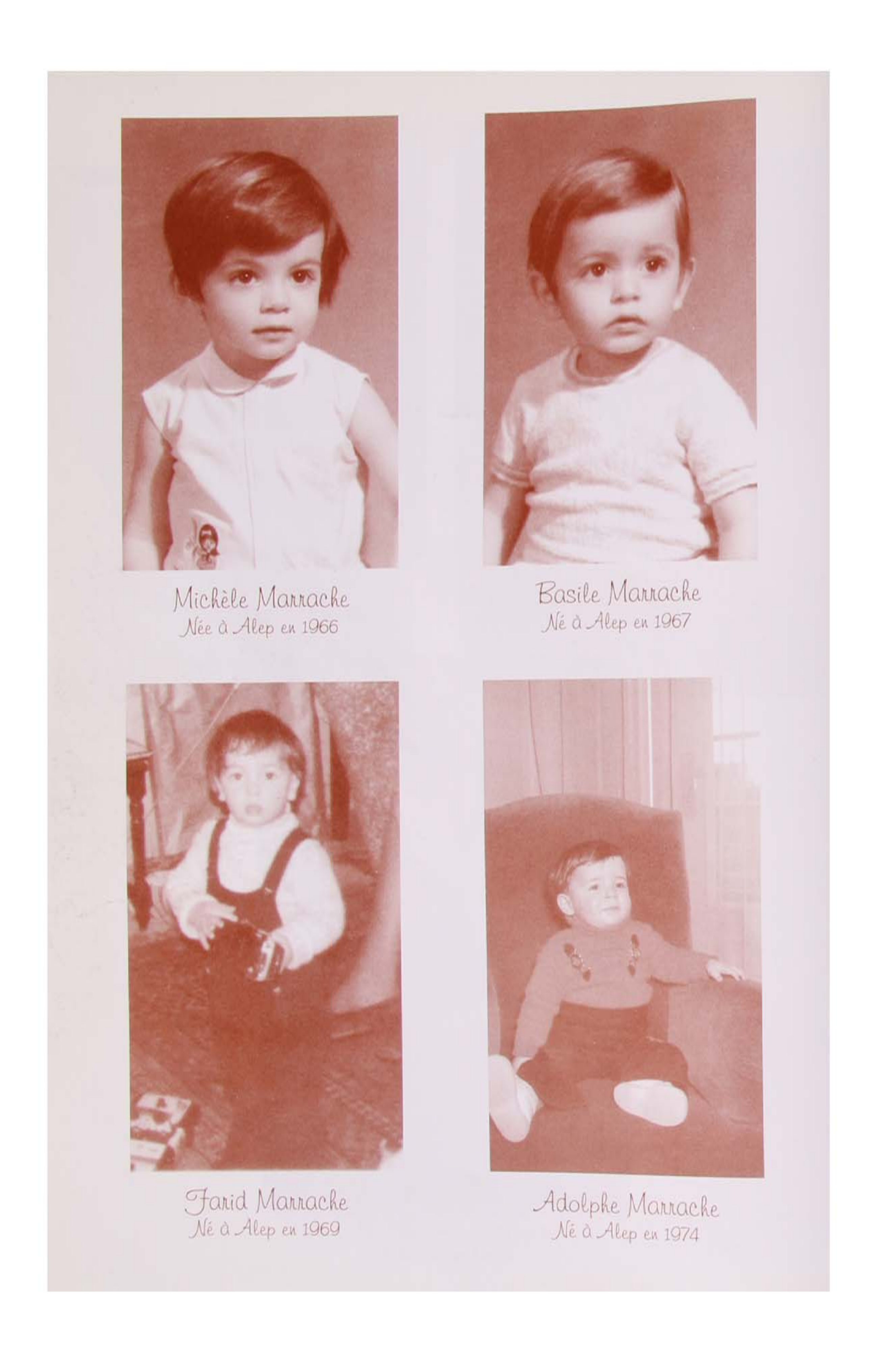

Les Souks de mon enfance



Georges Marrache
Alep (1936 - 1994)

Eugénie Poche
Née à Alep en 1941

Le mariage de Georges et Jenny
le 10 juillet 1965



Michèle Marrache
Née à Alep en 1966

Basile Marrache
Né à Alep en 1967

Farid Marrache
Né à Alep en 1969

Adolphe Marrache
Né à Alep en 1974



Plus tard

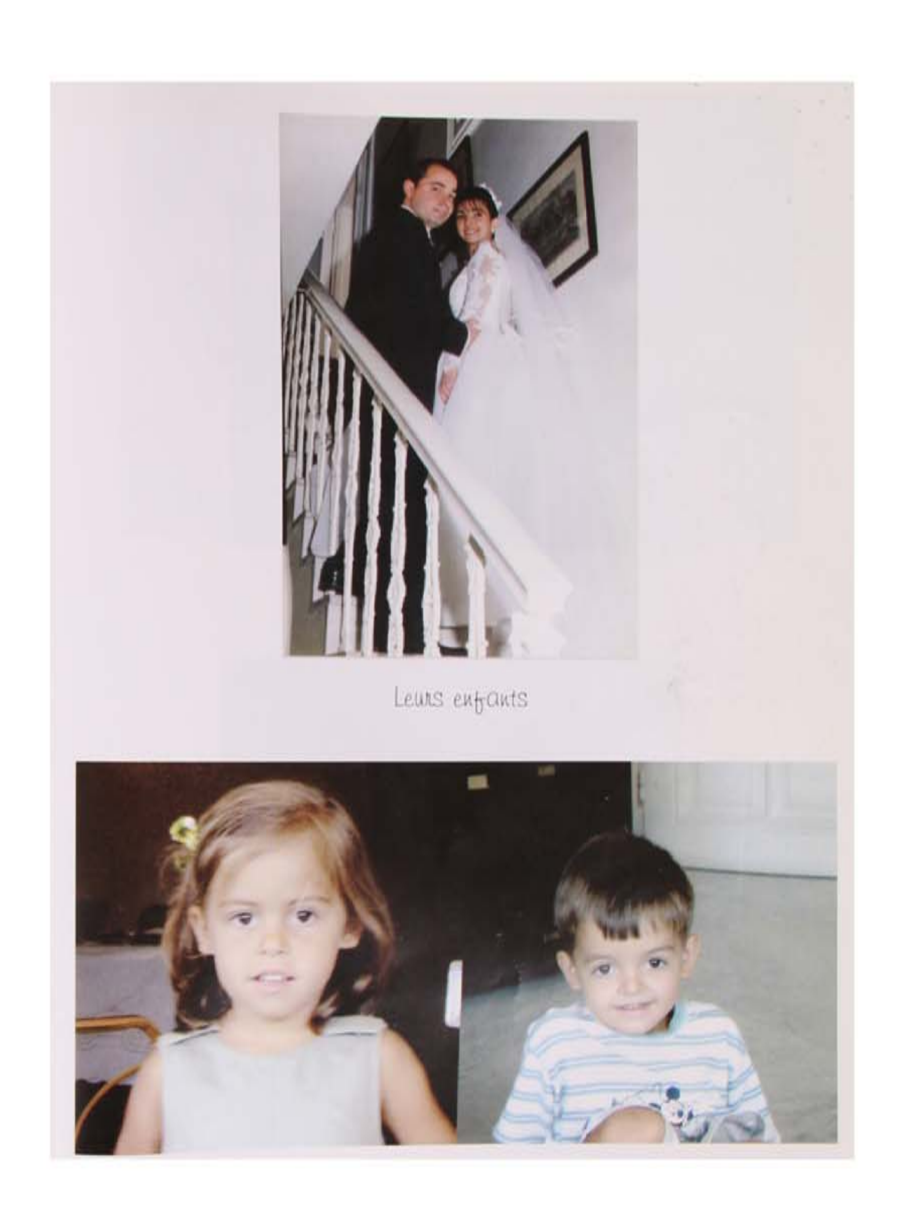


Le mariage de Michèle le 9 Janvier 1988



Le mariage de Michèle Marrache et Edouard Megarbané

Jean Megarbané
Né à Alep en 1989


Leurs enfants


Le mariage de Basile Marrache et Sabine Sabbagh
le Samedi 22 Avril 1995

Les enfants de Sabine et Basile Marrache



Jennifer, Georges et Anthony





La salle à manger



Le hall

La maison début XX^e siècle



Le hall



La salle à manger



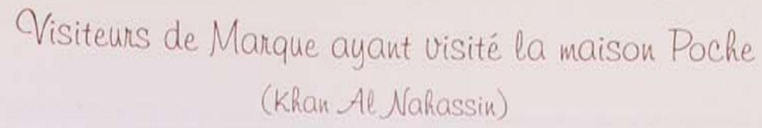
Le salon


La maison mi XXe siècle


La maison début XXIe siècle







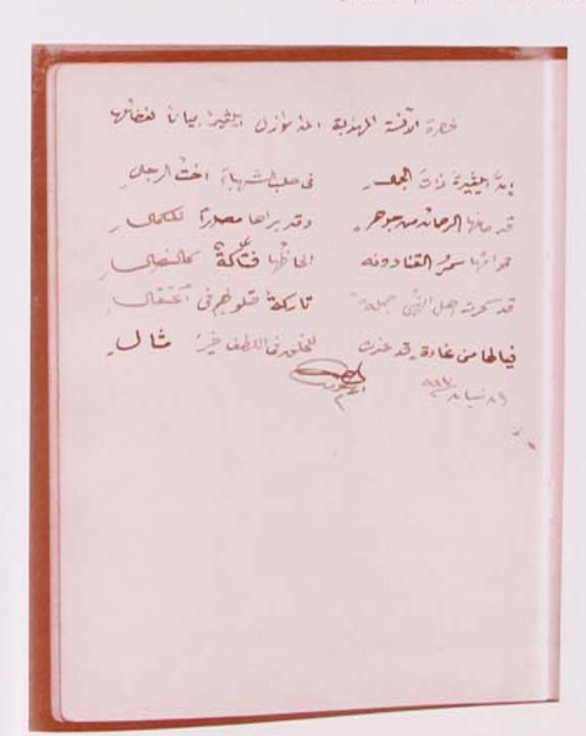
Visiteurs de Marque ayant visité la maison Poche

(Khan Al Nahassin)



Visite de S.M. le Roi Albert de Belgique et de la Reine Elisabeth.

(Photo prise sur la terrasse de la maison Poche)



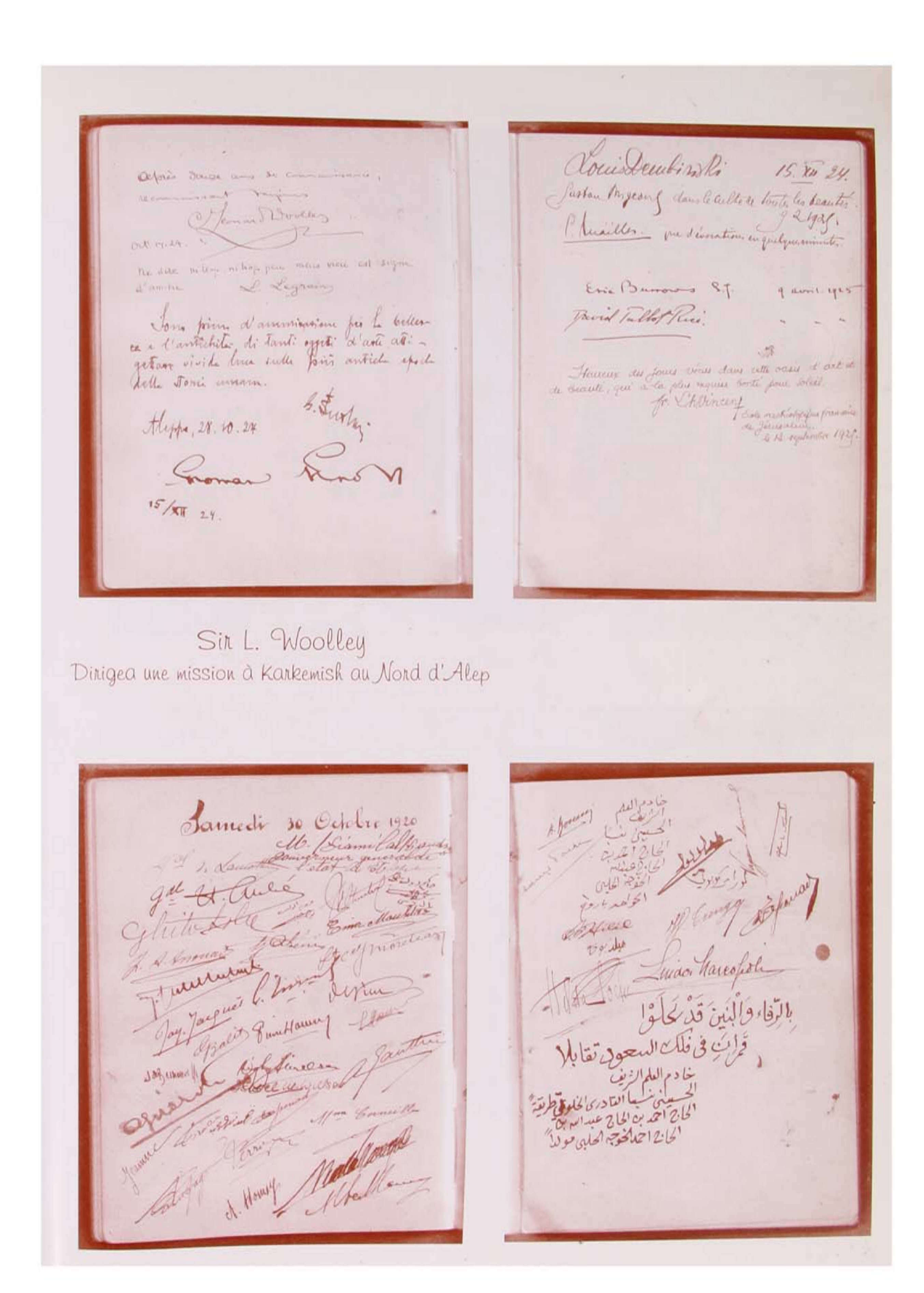
Signature du passage d'Ahmad Chawqui

Poète Egyptien (1868 - 1932)



Signature du passage du Roi Fayçal 1er

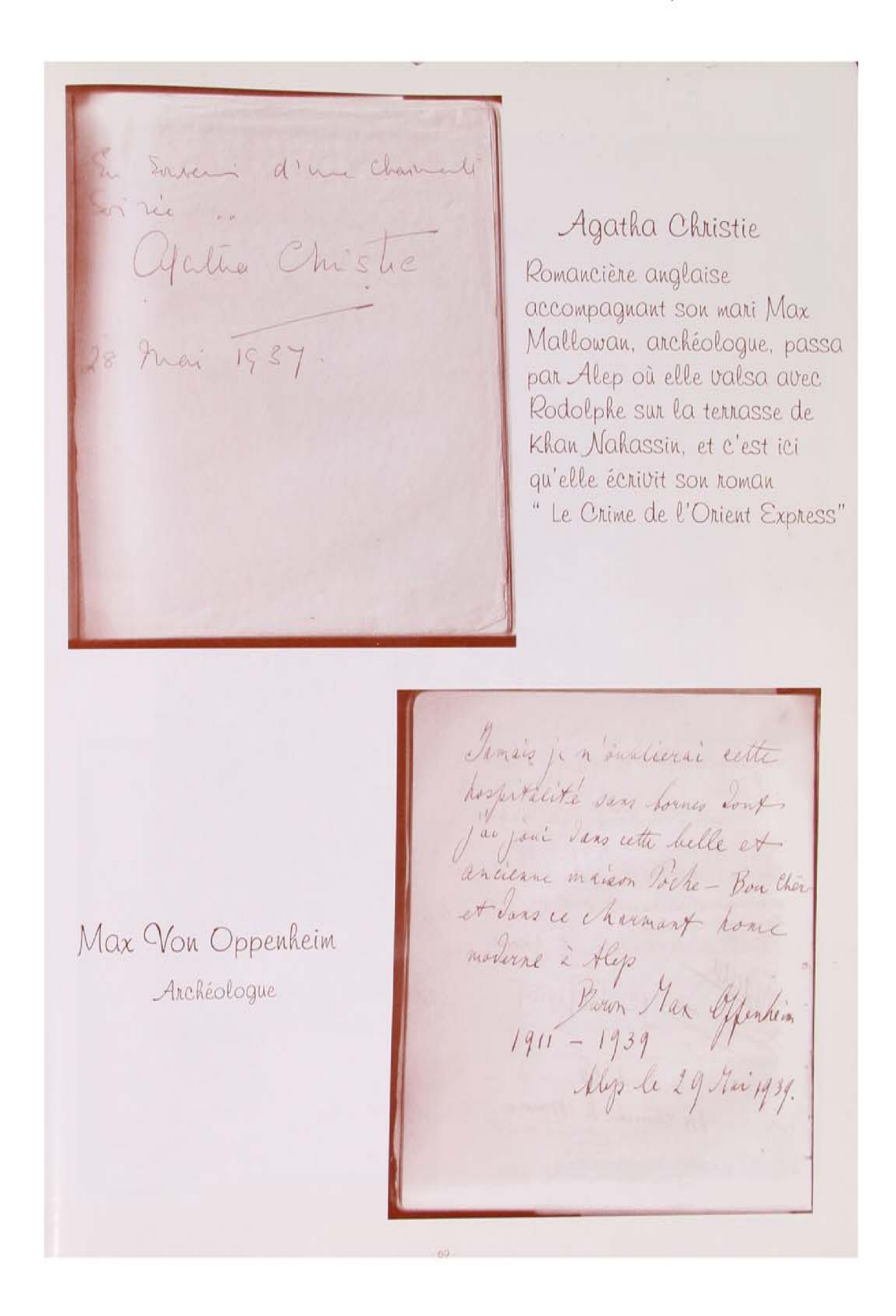
Roi d'Irak et de Syrie (1920)



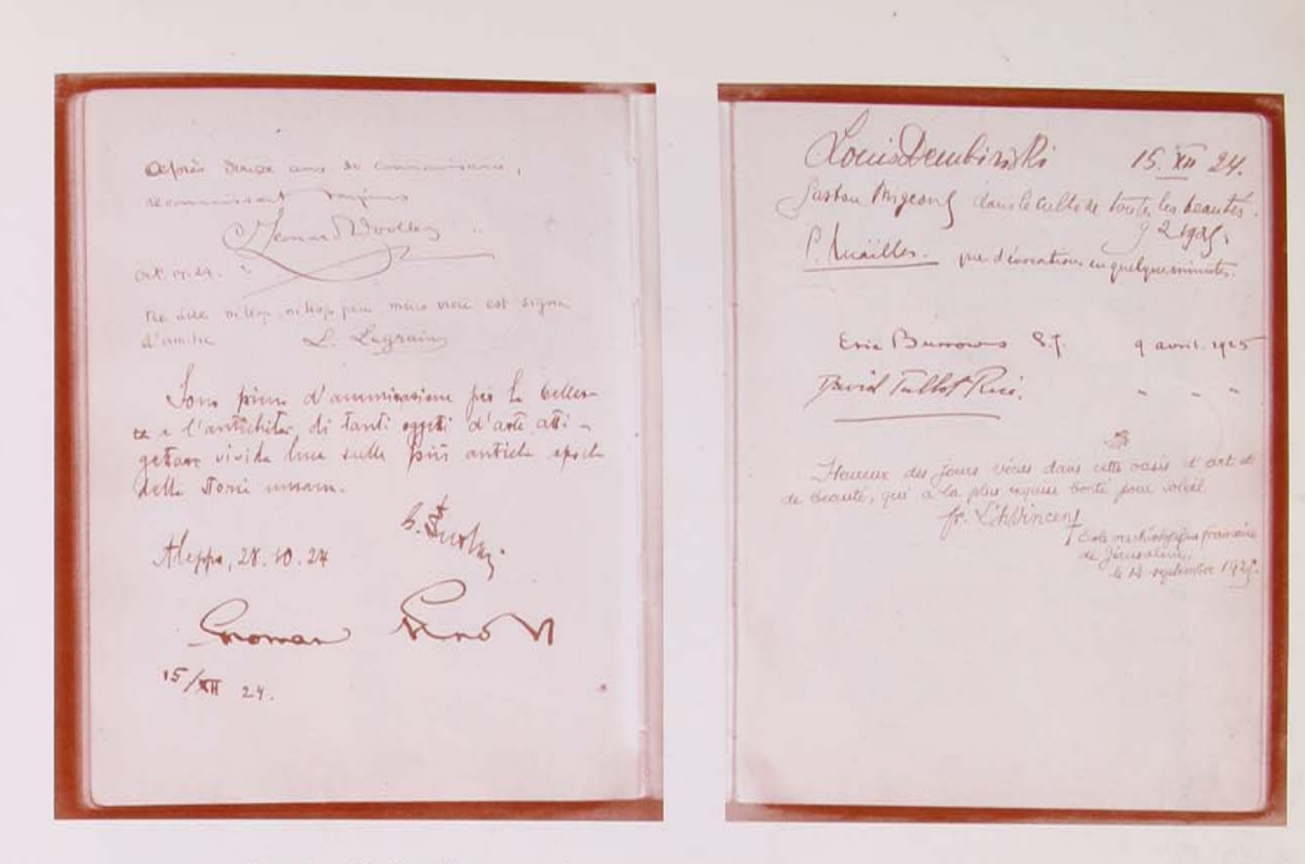
Sir L. Woolley
Dirigea une mission à Karkemish au Nord d'Alep

آغاتا كريستي (Agatha Christie)

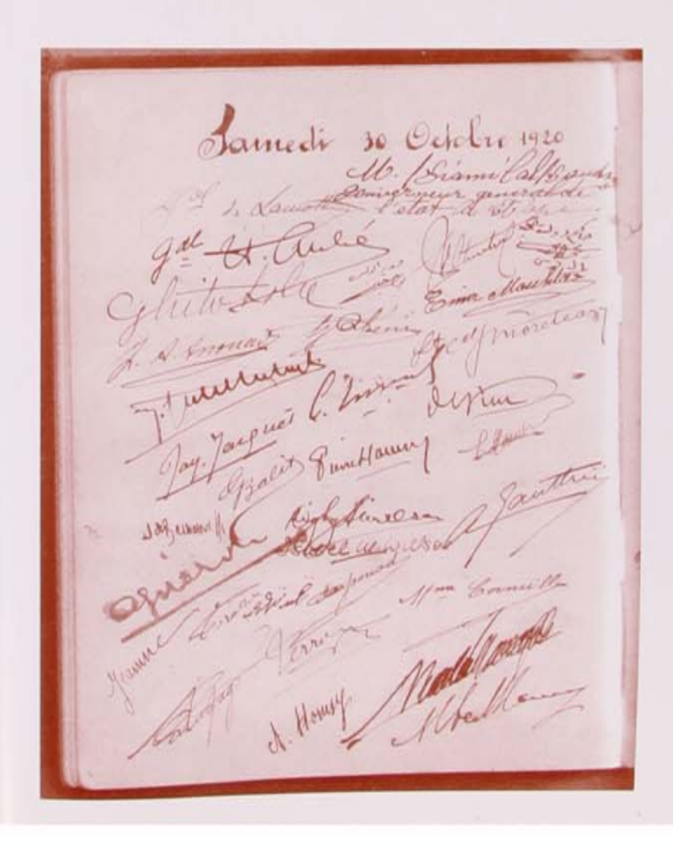
كاتبة قصصيّة إنجليزيّة، رافقت زوجها عالم الآثار ماكس مالّوان (Max Mallowan)، ومرّا بحلب حيث رقصت الفالس (Valse) في باحة الخان مع آدولف. وهنا كتبت قصّتها "جريمة قطار الشرق السريع" (Le Crime de l'Orient Express).




Valse sur la terrasse de la maison.



Sir L. Woolley
Dirigea une mission à Karkemish au Nord d'Alep







P7191 77



Berlin, Decembre 1938
Savignyplatz 6

Avec ses meilleurs
voeux pour une bonne
et heureuse nouvelle
année
Baron Max Oppenheim

TELL HALAF-MUSEUM
BERLIN, FRANKLINSTRASSE 6
Riesenlöwe, Riesenlöwin, Riesengreif
Altmesopotamisch-subaräische Kultur
um 2800 v. Chr.

5

Aufnahme: Staatliche Bildstelle / Deutscher Kunstverlag, Berlin W 35
Nachdruck verboten.

Mons.

Dr. Adolphe P o c h e

Consulat d'Autriche

A l e p /Syrie

Une Ville
Une Famille
Une Maison

Souvenirs de Jenny Poche Marrache